الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم: العلوم الانسانية
فرع التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي (ق 5-11هـ/ 17-11م)

من إعداد:
- زروق أسماء
- عصيد لطيفة

تحت إشراف الأستاذة:
طيب بوجمعة نعيمة

لجنة المناقشة:

د. علي العبيدي	رئيسا
د. طيب بوجمعة نعيمة	مشرفا و مقررا
أ. بورملة عربية	عضوا و مناقشا

السنة الجامعية: 1441- 1442هـ/ 2019-2020م

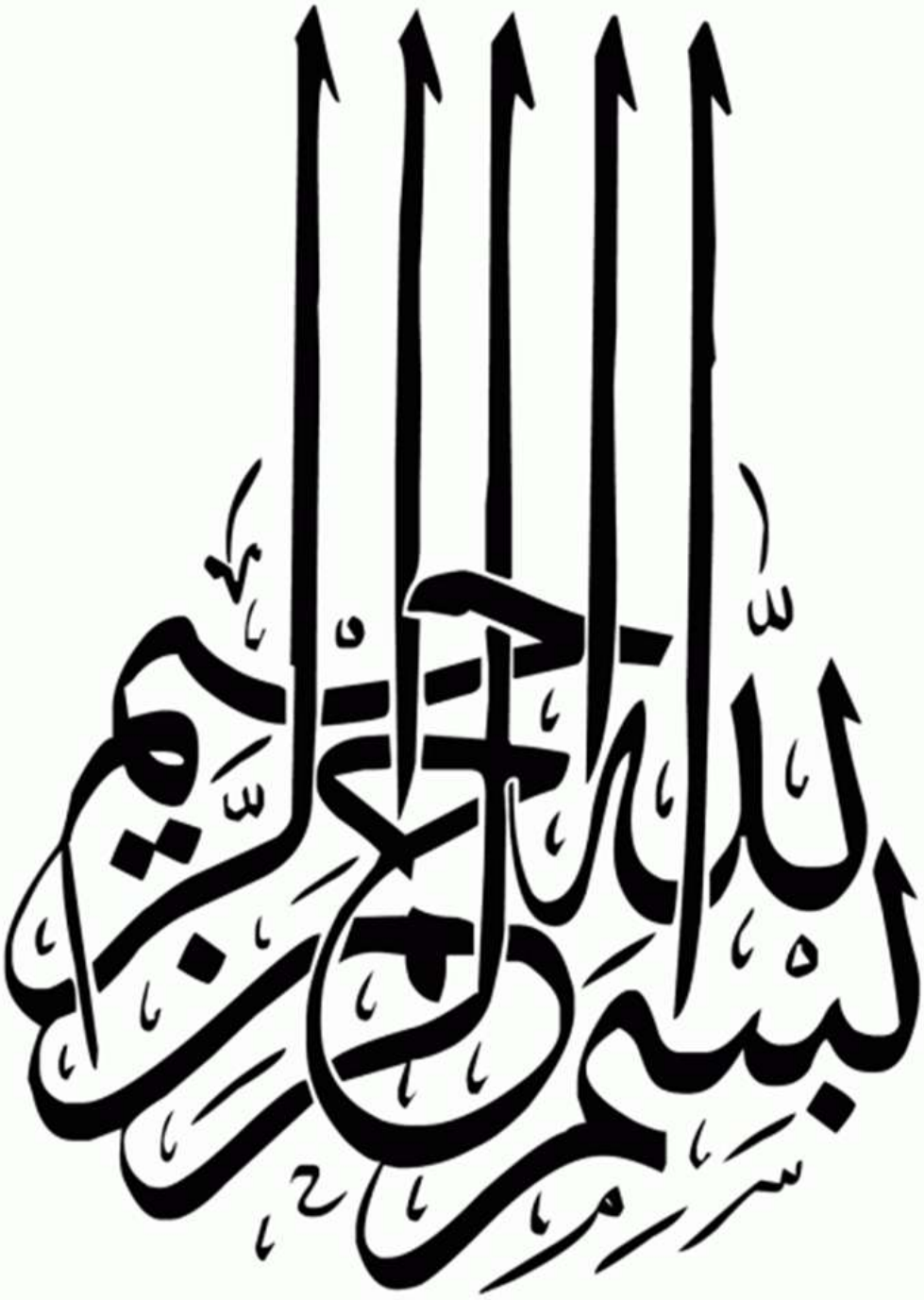
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

نحمد الله تعالى و نشكره على نعمته و نصلي و نسلم على خاتم الأنبياء و المرسلين، صلوات ربنا و سلامه عليه، نتوجه بالشكر و العرفان إلى الدكتورة الفاضلة " طيب بوجمعة نعيمة " على قبولها الإشراف على هذا العمل و على المساعدات القيمة التي قدمتها لنا و متابعتها للبحث بروح علمية نزيهة عبر المراحل المختلفة من إعداد هذه المذكرة .

كما نتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على تكبد قراءة و مناقشة هذا العمل.

كما نتوجه بخالص الشكر و الامتنان إلى كل أساتذة قسم التاريخ.

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد.

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى,

أجمل و أحن إنسانة في العالم و التي قال الله تعالى فيها: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ** ﴾كما قال عنها نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم "أمك ثم أمك ثم أمك"

إلى التي غمرتني بحنانها و حبها و تعبت من أجل راحتي فكان دعائها نور دربي، إلى أمي الغالية '' زهرة'' رحمها الله و جعلها من أهل الجنة

إلى من أفنى حياته من أجل مستقبلي و راحتي إلى "والدي الغالي" أطال الله عمره و حفظه لي

إلى أمي الثانية التي ساندتني في إتمام هذه الرسالة '' أم زوجي زهرة''

إلى شريك حياتي الذي تحمل معي صعاب هذه الرحلة و لم يبخل عليا لا جهدا ماديا و لا معنويا لمساندتي من أجل إتمام هذه المذكرة زوجي ''محمد''

إلى أبنائي قرة عيني '' عبدالرحمن'' و'' بيسان'',

إلى كل إخواتي و أخواتي كل واحد باسمه .

إلى كل عائلة زوجي.

إلى رفيقة دربي في هذا المشوار '' لطيفة''

أسماء

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضعة إلى التي سهرت الليالي من أجلي و حملتني بدعائها للنجاح و الفلاح و رضاها عني "أمي الغالية" أطال الله عمرها.

إلى من أحمل إسمه بكل افتخار و كان سندي في الحياة و معلمي و من تحمل عبء و جفاء الدنيا من أجل إيصالي إلى رياض العلم و المعرفة إلى " أبي الغالي" رحمه الله.

إلى كل أفراد عائلتي.

إلى رفيقة دربي أسماء

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

لطيفة

قائمة المختصرات:

الرمز	الاختصار
تح	تحقيق
مر	مراجعة
تر	ترجمة
ط	طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ت	تاريخ الوفاة
ق	قرن
هـ	هجري
م	ميلادي
د .ط	دون طبعة
د . م.ن	دون مكان نشر
د . ت	دون تاريخ
د . د.ن	دون دار نشر
ج	جزء
مج	مجلد
تع	تعليق
إش	إشراف
تق	تقديم

مقدمة

ظهر الإسلام بشبه الجزيرة العربية ثم انتشر بعدها في مختلف البقاع، وكان هذا بفضل الفتوحات الإسلامية التي قام بها الفاتحون المسلمون الأوائل، فظهرت هناك عدة مذاهب سنية، و منها مذهب الإمام مالك بن أنس، و يعد المذهب المالكي من أكثر المذاهب التي لقيت انتشارا واسعا في أرجاء العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، خاصة إذا اعتبرنا أن المغرب الإسلامي كان تابعا من الناحية السياسية للمشرق في بدايته، ومن هنا اعتبرت منطقة المغرب الإسلامي حلقة وصل في دخول الإسلام وانتشار المذاهب الفقهية لبلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط.

فموضوع"**المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي (ق 5-11هـ/17-11م)**". له أهمية كبيرة تتمثل في أنه يعالج جانب ديني مهم يتمثل في انتشار المذهب تحديدا بهذه المنطقة على فترات زمنية مختلفة، فمن هذا المنطلق كان اختيارنا للموضوع .

ومن الدراسات السابقة للموضوع التي أفادتنا كثيرا في العمل هي دراسة سحر عنتر أحمد محمد مرجان عنوانه "فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغاي (628-1000هـ/1591-1230م)"، دراسة علمية رصينة تناولت فيها الباحثة دراسة تاريخية للمذهب المالكي وفقهاءه على عهد مملكتي مالي وصنغاي، وأظهرت من خلال هذه الدراسة أهمية الدور الحيوي الذي قام به فقهاء المالكية في كافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، خاصة وأن المذهب المالكي لقي عناية واهتمام من قبل حكام تلك البلاد وأهلها نظرا لملائمته لطبيعة المجتمع السوداني، لذا عمل الحكام والفقهاء على نشره ودعمه، بفضل ما بذلوه من جهود كانت سببا في انتشاره وسيادته على بقية المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى .

و قد أفادتنا كثيرا خاصة الدور الذي قام به الفقهاء المالكية السودانيين في مختلف الجوانب و كذلك إنتشار المذهب المالكي في مملكة صنغاي.

وتمحورت إشكالية بحثنا حول : ما مدى تأثير تشريعات المذهب المالكي في مجتمع السودان الغربي حتى أصبح هذا المذهب أكثر انتشارا.

وللتوسع أكثر في معالجة الإشكالية المطروحة حاولنا أن نضع عدد من التساؤلات الفرعية: ما هي الطرق و وسائل انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي ؟ وهل عرفت بلاد السودان الغربي مذاهبا وفرقا أخرى ؟ لماذا كان المذهب المالكي أكثر المذاهب انتشارا ؟ وما هو الدور الذي قام به فقهاء المالكية السودانيين في شتى مجالات الحياة ؟

أما عن أسباب اختيارنا للموضوع فكانت أولا رغبة ذاتية و ثانيا لأسباب موضوعية ، فالرغبة الشخصية كانت للتعرف على الخارطة المذهبية لبلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط ، و هل هي نفسها تلك الموجودة ببلاد المغرب الإسلامي بحكم أن الإسلام تسرب للمنطقة بفضل بلاد المغرب، و الأسباب الموضوعية التي دفعت بنا للبحث في الموضوع منها معرفة كيف تمكن المذهب المالكي من الانتصار على بقية المذاهب و الفرق الأخرى بالمنطقة، إضافة إلى أنه اقتراح الأستاذة المشرفة وترغيبها لنا في معالجة هذا الموضوع.

وقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء إنجاز عملنا هذا، لعل من أهمها: صعوبة أسلوب ولغة المصادر، وقلة المراجع المتخصصة في موضوع انتشار المذاهب في السودان الغربي.

ولتحقيق غايتنا في إنجاز هذه المذكرة اعتمدنا على عدد من المناهج التاريخية، منها المنهج الوصفي لتتبع أهم الأحداث والوقائع التاريخية التي سايرت البحث، والتي كان لها تأثير مباشر على نشر المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي، أما المنهج التحليلي اعتمدنا عليه في تفسير وتحليل بعض النصوص التاريخية المتعلقة بالدراسة واستنباط أهم ما ورد فيها من استمارات عن الأحداث والشخصيات والأماكن وغيرها من المعلومات التي تصب في موضوع البحث.

ولإنجاز العمل اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر الهامة التي لها علاقة مع الموضوع، والبعض الآخر جاء مكملا لجوانب أخرى، وفي مقدمتها مصادر المؤرخين السودانيين ثم مصادر التاريخ العامة، و مصادر الرحلة والجغرافيا، بالإضافة إلى المراجع العربية، كما دعمنا موضوعنا بمجموعة من الرسائل الأكاديمية والمقالات.

أولا: المصادر التاريخية السودانية:

1- محمود كعت (ت: 1002هـ/1593م): صاحب كتاب "**تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتعريف أنساب العبيد من الأحرار**"، يعد كتابه من المصادر التاريخية الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تاريخ السودان الغربي على عهد الأساكي، وأفادنا في دراستنا لأحوال مملكتي غانة وصنغاي، و الأهم أنه ذكر العديد من أسماء الفقهاء المالكيين في مملكة صنغاي.

2- التنبكتي أحمد بابا (ت: 963هـ/1036م): وكتابه "**نيل الابتهاج لمعرفة ما في الديباج**" فقيه متضلع، عالي الكعب في الفقه المالكي، وعلم من أعلام المذهب بالغرب الإسلامي خلال القرن 10هـ/

16م، وكتابه نيل الابتهاج أحاط بجل الكتب الرائجة في عصره ، لذا يعتبر من أهم ما كتب في تاريخ الفقه المالكي في القرون المتأخرة الأمر الذي جعل معاصريه يعترفون له بالفضل والمكانة العلمية، فحضي بتقدير العلماء الذين عاصروه ومن جاء بعدهم، لغزارة علمه وتمكنه من الفقه المالكي، الذي أخلص له كل الإخلاص شرحا وتدريسا وإفتاء وتأليفا، لما بذله من جهود في ترسيخ الفقه المالكي في المجتمع سواء في المغرب أو السودان الغربي.

3- السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر (ت: 1063هـ/1653م): كتابه "**تاريخ السودان**"، اشتغل في الإدارة عندما كانت صنغاي تحت حكم باشاوات المغرب السعدي الذين عرفوا بالأرما، فاشتغل البداية في إدارة مدينة جني في مالي حاليا وفي منطقة ماسينا في دلتا النيجر الداخلية، في عام 1646م أصبح رئيس وزراء إدارة أرما في مدينة تنبكت، بالنسبة لكتابه يعتبر المصدر الوحيد الذي تحدث عن دولة صنغاي فقد عاصر حكامها، أفادنا في دراسة أوضاع مملكة صنغاي من الناحية العلمية فقد أشار إلى فقهاء المالكية في جني وتنبكت، كما أنه يسلط الضوء على تاريخ الإسلام والثقافة والشعوب في إفريقيا جنوب الصحراء وغانة وصنغاي والسنغال. والأقسام الأولى للكتاب خصصها لكتابة مختصر لسلالات صنغاي السابقة من إمبراطورية مالي ومن الطوارق، كما ترجم للعلماء في كل من تنبكت وجني، والجزء الرئيسي من الكتاب يغطي تاريخ صنغاي من منتصف القرن 15م حتى الغزو المغربي في 1591م، ثم تاريخ تنبكت تحت الحكم المغربي حتى 1655م ولا يذكر السعدي مصادره إلا نادرا وكثير من المعلومات عن الفترات السابقة مأخوذة من التراث الشفوي إلا المعلومات والأحداث التي عاصرها.

ثانيا: المصادر التاريخية العامة

1- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن (808هـ/1406م): وكتابه "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"، في جزئه السادس وهو من أهم المصادر التي لا غنى عنها، والتي أفادتنا في التعرف عن ممالك السودان الغربي خاصة غانة ومالي، إضافة إلى القبائل التي كانت موجودة في تلك المنطقة، ضف إلى ذلك حديثه عن حركة القوافل التجارية.

2- القلقشندي أبو العباس أحمد علي (ت:821تهـ/1418م): وكتابه "**صبح الأعشى في صناعة الانشا**" تناول ممالك السودان الغربي بشكل منظم ومدروس افتقرت له روايات ابن بطوطة، فقد تحدث عن بلاد برنو وبلاد كانم وهما شمال نيجيريا حاليا والتي أغفلها ابن بطوطة، كما تطرق لبلاد مالي

وصوصو وغانة وبلاد تكرور التي يجمع بين أعمدتها خمسة ممالك فأفادنا في معرفة ممالك السودان الغربي، كذلك جاء بمعلومات وافية عن مملكة مالي والذي كان في الجزء الخامس منه.

ثالثا: مصادر الرحلة والجغرافيا

1- البكري عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو (ت:487هـ/1094م): وكتابه "المغرب **في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**" تناول فيه منطقة السودان الغربي، فقد أفادنا في معرفة التأثير المغربي على إسلام ملوك مالي.

2- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت: 779هـ/1377م): كتابه "**تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**" أورد فيه معلومات كثيرة عن مملكة غانة ومملكة مالي، خصوصا وأن ابن بطوطة كان شاهد عيان خلال زيارة إلى دولة مالي الإسلامية سنة 753هـ/1352م بأمر من السلطان المريني أبو عنان على عهد حاكمها منسى سليمان، وقد أفادنا في ذكر بعض فقهاء المالكية الذين قابلهم في بلاد السودان الغربي، دون ذكر تفاصيل كافية عنهم بل اكتفى بذكر أسماء بعضهم فقط، كذلك معلومات ذات فائدة كبيرة عن مالي.

رابعا: المراجع العربية

1- إبراهيم علي طرخان وكتبه الكثيرة حول تاريخ المنطقة، تعرض فيها لمملكتي غانة ومالي، وأفادنا كتابه "**إمبراطورية غانا الإسلامية**" في معرفة كيف تحولت حياة الناس في ظل هذا النظام الإسلامي، أما كتابه "**دولة مالي**" فقد تعرض إلى ذكر انتشار الإسلام فيها، وعن السلطان منسى موسى التي وصلت المملكة في عهده ذروة مجدها.

2- الهادي مبروك الدالي بكتابه "**مملكة مالي وعلاقتها بالمغرب وليبيا**" وكتابه "**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء**"، من أهم المراجع التي تحدثت عن السودان الغربي في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وذلك بحكم الزيارات المتكررة التي قام بها إلى المنطقة، ما أمكنه من فهم كثير من الوقائع والأحداث.

وقد عالجنا موضوع المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بخطة احتوت على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، حيث كان لابد من وضع مدخل من أجل التعرف على بلاد السودان الغربي من حيث جغرافية المنطقة و كذلك أهم المذاهب التي انتشرت فيه.

ثم جاء الفصل الأول الذي تناول "**المذهب المالكي ببلاد السودان الغربي** فكان لابد من التعريف بالمذهب المالكي ثم ذكر انتشاره في الممالك، فكانت أهمية هذا الفصل أنه عالج انتشار هذا المذهب بالبلاد لذلك أدرجناه في الفصل الأول ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني الذي تضمن الدور الذي قام به الفقهاء المالكية السودانيين في مختلف المجالات و ذكر أهم أعماله و مساهمته في المجال العلمي.

أما الخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج المتحصل عليها من خلال البحث، ثم قمنا بوضع الملاحق والتي تحتوي على بعض الخرائط ثم قائمة المصادر والمراجع الواردة في البحث.

مدخل

1- تسمية بلاد السودان الغربي

إن تسمية "بلاد السودان" في عرف الجغرافيين والرحالة العرب إذا أطلقت يراد بها على العموم أقاليم السودان الثلاث المعروفة، وهي: السودان الغربي يشمل حاليا حوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا (بوركينا فاسو) والنيجر الأوسط[1]، والسودان الشرقي الذي يمتد من البحر الأحمر شرقا حتى إقليم دارفور غربا أي هو المنطقة التي تشمل مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة، والسودان الأوسط يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد[2].

وانتشر مصطلح السودان الواردة على مصطلح السودان في الكتابات العربية، ومنها انتقل إلى كتابات علماء المنطقة، حيث وردت لفظة السودان في عناوين كثير من مؤلفاتهم، واحتفظت الأدبيات الاستعمارية بالمفهوم التاريخي للمصطلح في الكتابات العربية والمحلية. ولقد أدرك الجغرافيون والمؤرخون العرب أن المجال السوداني متعدد الخصائص، ولعل هذا هو السر في انتشار مصطلح "بلاد السودان" بصيغة الجمع عندهم؛ بدلا من بلد بصيغة الإفراد، وعليه؛ فقد حاولوا تقسيم المجال السوداني إلى أقسام مختلفة، والاعتبار الذي اعتمدوه في التقسيم ليس جهويا؛ بل سوسيو-سياسي؛ لأنهم لم يتعاملوا مع الفضاء الجغرافي مجردا عما يتجسد فيه من تشكيلات بشرية وسياسية، ولذلك تجدهم في الغالب يقسمون المنطقة إلى ممالك، فيتحدثون عن غانة وتكرور وملي وكوكو والزغاوة والبجة والحبشة والزنج، حتى أن الرحالة الحسن الوزان أوصل هذه الممالك إلى خمس عشرة مملكة.ولا يعني هذا أن البعد الجهوي لم يكن حاضرا عند الكتاب العرب؛ ولكن المقصود أن التقسيم الجهوي للمنطقة بدأ يتبلور ويأخذ الصبغة الاصطلاحية في الأدبيات الاستعمارية، ومنها توغل إلى البحث التاريخي المعاصر[3].

وشاع استخدام مصطلح السودان مع سنة 1870م في المكاتبات الرسمية، وشمل كل الأقاليم الواقعة شمال البحيرات العظمى وحتى القرن الأفريقي والسواحل الصومالية، وفي فترة الاستعمار الأوروبي كان هناك السودان الفرنسي والسودان الإنجليزي المصري، وسقطت كلمة بلاد، وبعدالاستقلال عادت

1- الفلاتي عبد الرحيم، **الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان**. الكويت، دار الكتاب الحديث، 1994م، ص: 252.

2- زبادية عبد القادر، **مملكة سنغاي في عهد الأسقين (1493/1591م)**. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، ص: 15.

3- أنجاي مصطفى، "من كانم إلى صوكوتو موجز التاريخ السياسي للسودان الأوسط". مجلة قراءات إفريقية، الخرطوم، السنة 14،ع: 35، جانفي 2018م، ص: 17.

بلاد السودان الفرنسي لأسمائها القديمة، بينما أبقى سودان وادي النيل اسمالسودان لجمهوريتهم بعد الاستقلال[1].

ونحن في عملنا هذا سنتطرق لبلاد السودان الغربي والتي تعرف أيضاباسم "**غرب إفريقيا**" أو "**إفريقيا الغربية**" في الكتابات الأجنبية، ولكن التسمية استعملت استعمالات جزئية، أما عن أصل التسمية فهو مستوحى من لون بشرة سكان المنطقة، فالسودان تعني الجنس الأسود وهذا في مقابله "بلاد البيضان" أو "بلاد البربر"[2]، فأطلقت تسمية السودان على الأقوام التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى، والعرب هم أول من أطلق هذا اللفظ على كل السود الإفريقيين[3].

الموقع الجغرافي:

أطلق بعض المؤرخين اليونان والرومان على منطقة السودان الغربي الأوسط مصطلح "نجرتيا" نسبة لنهر النيجر، والذي أطلق عليه هذه التسمية هو المؤرخ الجغرافي الروماني بليني حوالي 115م ومعناها الأجناس السوداء[4]، وقد كانت معظم أراضي إفريقيا جنوبي الصحراء الكبرى تعرف ببلاد السودان بالنسبة للعرب، في حين أصبح هذا الاسم يقتصر على جمهورية السودان في الوقت الحالي، حيث كانت في القدم تطلق على المناطق التي تشغلها حاليا: سنغال ومالي وفولتا العليا، ونيجر وأجزاءمن موريتانيا وغينيا ونيجيريا، غامبيا، سيرالبون، ليبريا، ساحل العاج، ساحل الذهب، داهومي بوركينا فاسو وطوغو وبنين، الصحراء الغربية وإفريقيا الوسطى، وتشاد في السودان الأوسط[5]، وأصل التسمية مأخوذ من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة[6].

---

[1]- عبد الله الفكي البشير، "قراءة في صورة شعوب القرن الإفريقي في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة". صحيفة التغيير الإلكترونية.

https://www.altaghyeer.info

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**. بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ط1، 1968م، ص ص: 20-21.

[3]- الدالي الهادي مبروك، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن الثامن عشر**. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1999م، ط1، ص: 17.

[4]- إبراهيم علي طرخان، **الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط**. الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ط، 1969م، ص: 54.

[5]- ولتر رودني، **أوروبا والتخلف في إفريقيا**.تر: أحمد قيصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص: 73.

[6]- مالك جاسم الطاهر، **إفريقيا ما وراء الصحراء**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 34.

وأطلق البكري كلمة السودان في القرن 5هـ/11م على جزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة[1] على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة[2]مدخلا إلى بلاد السودان[3]، أما ابن حوقل فقد حدد المنطقة بقوله: "وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط ملتف...غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المتوسط وحدا له ينتهي إلى البحر المتوسط وجداله ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وجدالة بينه وبين مصر على ظهر الواحات[4].

وحدد القلقشندي بلاد السودان بقوله: "إن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب بينما يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن، من الشمال براري يمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد العرب المغاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط"[5]، وقد ذكر الإدريسي "أن أكثر هذه الأرض صحار متصلة غير عامرة وجهات وحشة وجبال عرش جرد لا نبات فيها، والماء بها قليل جدا، وأهل تلك الأرض يدلون في أكتافها وطرقاتها ويتجولون في ساحاتها ووديانها وجبالها[6].

بعد قراءتنا لبعض أقوال الرحالة والجغرافيين نخلص إلى أن بلاد السودان الغربي يحدها شمالا الصحراء الكبرى، وشرقا الكاميرون وبحيرة تشاد، ومن الجنوب الشرقي الغابات الاستوائية، أما من ناحية الغرب فهي تتاخم المحيط الأطلسي، ومن الجنوب خليج غينيا، أي ما يعرف حاليا بمنطقة حوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط والأعلى[7]. أما الموقع الفلكي فهو محصور ما بين دائرتي

---

[1]- **النوبة:** تمتد على طول النيل جنوبا وأراضي مصر شمالا. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**.ج: 2، تر: حجي عمار ومحمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ص: 179.

* للإطلاع على خريطة السودان الغربي ينظر الملحق 01، ص

[2]- **سجلماسة:** مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشر أيام، وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق غانة التي هي معدن الذهب. ينظر: ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي، **معجم البلدان**.مج: 3، بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت، ص: 192.

[3]- البكري عبيد الله بن عبد العزيز بن عمرو، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت، ص: 148.

[4]- ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي، **صورة الأرض**. لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992، ص: 24.

[5]- القلقشندي أبو العباس، **صبح الأعشا في صناعة الانشا**. ج: 5، تح: نبيل خالد الخطيب، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م، ص: 275. 275.

[6]- الإدريسي أبو عبد الله الشريف، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. تج: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م، ص: 33.

[7]- أحمد طاهر، **إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر**. القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت، ص: 66.

عرض 11°و17°شمال خط الاستواء وخط طول 10°شرقا و17°غربا[1]. وتشمل حاليا كل من السنغال وغامبيا ومالي وموريتانيا وغينيا والنيجر، والساحل العلوي والداخلي لثلثي سيراليون وداخل ليبيريا؛ والمناطق الغربية والشمالية، والشمالية الشرقية لبوركينا فاسو؛ والنصف الشمالي للدول الساحلية في نيجيريا وبنين وتوغو وغانا وكوت ديفوار.

أ- التضاريس:

بموجب وقوع بلاد السودان الغربي ضمن النطاق الصحراوي فإن معظم أراضيها رملية ما عدا الأقاليم الواقعة بمحاذاة نهري النيجر والسنغال وروافدهما، وكان لهذا الموقع دور في تنوع تضاريس الإقليم واختلافها من منطقة إلى أخرى، تتخللها هضاب وجبال منها سلسلة جبال سيقوجاو، وهجار وآهير وجبال أورار الشرقية الغربية، وترتفع بعض أماكن الصحراء إلى 6.000قدم فوق سطح البحر كما تنخفض إلى مائة قدم قدم تحت سطح البحر[2]. أما هضابه منها هضبة النيجر، فيما تقع السهول شرق بلاد الهاوسا وتشكل منخفض بحيرة تشاد إضافة للسهول الممتدة على ضفاف نهري النيجر والسنغال[3]، كما توجد العروق بالمنطقة المتاخمة للصحراء الكبرى شمالا، أي مابين بلاد المغرب جنوبا وبلاد السودان الغربي شمالا[4]. أما الجبال فتعتبر فوتا جالون أهم المناطق الجبلية، تمتد من غينيا إلى وكناكري وغرب ليبيريا ليبيريا وشمال سيراليون، ويعتبر جبل نيمبا (Nimba) الذي يقع في جنوب غينيا كناكري قرب الحدود مع ليبيريا وساحل العاج، أعلى قمم جبال فوتا جالون قرب حدود السنغال يبلغ ارتفاعه 1.538م، أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال فتقوم في دولة التوغو متوسط ارتفاعها 900م. أما الشواطئ الرملية فتبدأ في غينيا وتنتهي في نيجيريا، مشكلة بعض الخلجان التي تؤلف موانئ صالحة لرسو السفن مثل أبيجان في ساحل العاج[5].

---

[1]- باري محمد علي وسعيد إبراهيم كريدية ، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م، ص: 19.

[2]- الدالي الهادي مبروك، المرجع السابق، ص: 19.

[3]- بولم دنيس، **الحضارات الإفريقية**. تر: علي شاهين، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، د.ت، ص: 54

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. بيروت، دار الكتاب اللبناني للنشر، ط1، 1968م، مج: 6، ص: 197

[5]- باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص ص: 21-22.

أما بالنسبة لمصادر المياه فتعتبر كتلة فوتا جالون مصدرا رئيسا للمياه، نظرا لكثرة أمطارها ولطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه، وتنبع منها أشهر الأنهار، كنهري النيجر والسنغال وهما يجريان بمحاذاة حافة الصحراء الجنوبية[1]، ونهر النيجر يعتبر ثالث أنهار إفريقيا طولا بعد نهر النيل ونهر الكونغو يبلغ 4.200 كم، وكذلك من حيث مساهمة الحوض التي نزيد عن 2 مليون كلم^2[2]،ينبع من الحدود الغينية مع سيراليون، يرفد كثيرا من الأنهار ويمر في كل من غينيا ومالي والنيجر ثم يتجه إلى نيجيريا ليصب في دلتا كبيرة وهو صالح للملاحة ومصدر هام لصيد السمك[3]. ويكاد المؤرخون والجغرافيون يجمعون على أن نهر النيجر هو فرع من نهر النيل المصري فسموه نيل غانا ويقصدون به نهر النيجر، ومن بين الجغرافيين الذين استعملوا هذا المصطلح **الدمشقي** الذي سماه "نهر غانة" لأنه يمر بمملكة غانة[4]، ويرفد هذا النهر الكثير من الأنهار ويمر في كل من غينيا ومالي والنيجر[5]، وبعد المجرى الأعلى للنهر صالح للملاحة، بينما كوروسا غير صالح للملاحة بسبب وجود المساقط ثم تعود صلاحيته للملاحة[6]، وهو كذلك يعتبر مصدر هام لصيد السمك، وقد قامت على ضفافه وخاصة في مالي حضارات أهم المدن الإسلامية التي برزت في غرب إفريقيا[7].

أما نهر السنغال سادس الأنهار الإفريقية طولا وخامسها من حيث مساحة حوضه[8]، يبدأ النهر بعد روافد من هضبة فوتاجالون ثم يتجه شمالا إلى أراضي غينيا ونيجيريا ثم غربا البحري في السنغال التي تضم أغلب أجزائه ويصب في المحيط الأطلسي[9]، ويتميز مجراه بالانحدار التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار لمسافة تبلغ 350 كلم من المصب[10]،

---

[1]– زكي عبد الرحمن، **تاريخ الدولة بإفريقيا الغربية**. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ط، 1964م، ص: 7.

[2]– محمد عبد الغني المسعودي، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، إقليم إفريقيا**. المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن مسعود، ، د.ط، 1999م، مج: 12، ص: 41.

[3]– إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1983م، ص: ص: 22.

[4]– الدمشقي شمس الدين، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**. بيتربورغ، المطبعة الأكاديمية للإمبراطورية المقدسة، 1926م، ص: 50.

[5]– محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص: 22.

[6]– عبد القادر مصطفى وآخرون، **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**. دار الجماهيرية، مصر، د.ط، 2000م، ص: 62.

[7]– محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص: 22

[8]– محمد عبد الغني المسعودي، المرجع السابق، ص 44 .

[9]– عبد القادر مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص 64

[10]– إلهام محمد علي ذهني، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ضد الاستعمار الفرنسي، (1750–1914)**. دار المريخ، الرياض، د.ط، 1988، ص: 24.

ويعتبر القسم الأوسط من هذا النهر الصالح للملاحة وهو مصدر خصب للأراضي التي يمر بها[1]، وأنهار فولتا (الأبيض والأحمر والأسود) التي تقع في بوركينافاسو، أما البحيرات فهي شبه معدومة باستثناء بحيرة فولتا في غانة[2].

ب- المناخ:

يندرج مناخ السودان الغربي ضمن مناخ الإقليم شبه الاستوائي، والذي يتميز بارتفاع الحرارة وزيادة كبيرة في لرطوبة، بشكل خاص في الأراضي الواقعة بمحاذاة نهري النيجر والسنغال الذي يجري بالقرب من حافة الصحراء الجنوبية إضافة إلى الأقاليم المجاورة[3]، وتكثر الأمطار في إفريقيا الغربية على العموم غير أنها تقل كلما اتجهت نحو الشمال في الداخل وتبقى المناطق الساحلية غزيرة الأمطار وتصل إلى درجة تصعب معها رؤية الأشياء[4]، كما يدخل في إفريقيا الغربية القسم الأكبر من منطقة الساحل الشبه جاف، والتي تقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداء من السودان شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا[5]. غربا[5].

أما عن الرياح فنظرا لطبيعة المناخ الصحراوي الجاف فهي غير مستقرة فقد تصل سرعتها إلى درجة كبيرة، مما ينتج عنها تفتت الصخور وتعري سطح الأرض وعرقلة مجرى الحياة اليومية، وهو ما ذكره **ابن سعيد المغربي**، عندما قال: "لا ماء ولا مرعى ولا عمارة، بل رمال سائلة، وطرق مظللة طامسة وأكثر ما يكون فيه اللمط صابر على العطش...وأول ما يلقاك من هذا الجزء صحراء سير التي يقطعها المسافرون ما بين سجلماسة وغانة...يكابدون شدة العطش ووهج الحر وربما هبت رياح جنوبية ونشفت الحياة التي بالقرب"[6].

اقتصاد المنطقة:

[1]- محمد فاضل علي باري وكريدية وإبراهيم، المرجع السابق، ص: 24.

[2]- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 24.

[3]- زكي عبد الرحمن، **تاريخ الدولة الإسلامية السودانية في إفريقيا الغربية**. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، 1974م، ص: 9.

[4]- محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص23.

[5]- محمد محي الدين رزق، **إفريقيا وحوض النيل**. مطبعة عطايا، مصر، ط2، 1936، ص: 47.

[6]- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**. تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1982م، ص: 113.

تميزت بلدان غرب إفريقيا بمميزات اقتصادية مهمة تمثلت في تنوع مناخها، وخصوبة تربتها، ووفرة الثروة الحيوانية بغاباتها والثروة السمكية بسواحلها الأطلسية وأنهارها الداخلية (السنغال-النيجر)، هذا فضلا عن كونها خزانا للمعادن النفيسة كالذهب والنحاس والحديد، التي شكلت رواجا مهما في تجارة القوافل الصحراوية التي ربطت بين غرب إفريقيا وشمالها في العصور الوسطى. وعن هذه التجارة المربحة تحدث عدد من الجغرافيين والرحالة العرب، أمثال ابن بطوطة وابن حوقل الذي أشار إلى غنى أهل غانة جراء امتلاكهم لمعدن الذهب بقوله: "وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر المثار"[1].

كما كانت المنطقة إلى جانب مؤهلاتها الاقتصادية وثرواتها الطبيعية التي أسالت لعاب الأوربيين، ميدانا للتثاقف والتلاقح الفكري والروحي، فقد تأثر هذا المجال النائي والبعيد عن مظاهر الحضارة الإسلامية وتأثيراتها عبر التجارة التي فتحت باب الصلات بين التجار المسلمين والتجار الوثنيين؛ حيث تعرف الرعايا السودان على مضامين رسالة إسلامية سماوية خالدة؛ غايتها إسعاد الناس دنيا وأخرى، فبوصول طلائع الفتح الإسلامي إلى مشارف الصحراء، انتشر الدين بالمنطقة على يد تجار الخوارج ودعاة المالكية فيما بعد، فتم إخراجها من وثنيتها وعزلتها، وربطها بالحضارة العالمية التي ينشدها الإسلام، وتكوين ممالك سودانية عتيدة ارتبط اسمها بالإسلام[2].

السكان:

ينتمي معظم سكان القارة فيما عدا سكان الشمال منها إلى ثلاث مجموعات كبرى، وهي مجموعة الشعوب السودانية ومجموعة شعوب البانتو ومجموعة الشعوب الحامية والسامية. وكل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث الكبرى هي مجموعة أساسية كبرى تمثل قبائل عديدة تتغلب على غيرها من الشعوب التي تعيش بينها إما منفصلة أو مندمجة معا، وإلى جانب هذه المجموعات الثلاث الكبرى تعيش ثلاث مجموعات صغرى، ومجموعة الشعوب السودانية هي المجموعة التي تعيش في أقاليم السودان الغربي والأوسط، وهم عبارة عن مئات القبائل والشعوب التي تتكلم اللغات السودانية، أما شعوب هذه المنطقة ينقسمون إلى خمسة شعوب، وكل شعب منها ينقسم بدوره إلى مجموعة قبائل، والشعوب، هي: شعوب

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق،، ص: 98.

[2]- حديدي الحسين، "الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا وإشعاع الحياة الفكرية بها في العصر الوسيط وبداية الحديث". مجلة قراءات إفريقية، السنة 14،ع: 35، جانفي 2018م،ص: 17.ص: 98.

السودان الغربي، شعوب السودان الأوسط، شعوب السينيغامبيا، شعوب غينيا العليا، وشعوب أداماوا ومناطق ما بين الكونغو والنيل[1].

شعوب السودان الغربي:

لقد سكن السودان الغربي الإنسان من العهد النيلي واستطاع أن يوجد تجانسا ثقافيا نسبيا ويخلق شعور مستمر بوحدة التاريخ[2]، ولقد أطلق لرحالة والمؤرخين العرب على هذه القبائل المختلفة والصغيرة اسم السودان، حين قال الاصطخري يصفهم، بقوله: "...وسكانها ليسوا بنوبة ولا حبشية ولا من البجةإلا أنهم أشد سوادا من الجميع وأصفى"[3]، وأما ابن خلدون فيقول: "السودان أصناف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنوج والنوبة ويليهم من غربهم كوكو، وبعدهم التكرور، ويتصلون بالبحر المحيط إلى غايته[4]، شكلوا معظم غالبية سكان السودان الغربي من أربعة قوميات كبرى هي الماندي، وسنغاي والهوسا وهي شعوب افريقية كبرى استطاعت الوقوف على قدميها أثناء الصراع، أما الرابعة...وهي شعوب رعوية تحولت إلى شعب سوداني بعد أن اتخذت اللغة السودانية لغة لها، وأغلبية هذه القبائل والشعوب اعتنقت الإسلام في فترات تاريخية متعددة ولعبت دورا كبيرا في نشره.ومن الصعب ذكر جميع قبائل بلاد السودان الغربي فهي قبائل متعددة، ولكل واحدة منها زعيم يرأسها ونظامها الخاص بها، وتقسم معظم غالبية سكان السودان الغربي إلى أربع قوميات كبرى، وهي: **ماندينجو، صنغاي، الهاوسا**، وهم شعوب إفريقية كبرى تمكنت من الصمود أثناء الصراع، أما القومية الرابعة فتشكلت من الشعوب القادمة للمنطقة وهم "**الفلان**" أو "الفوللا" وهي شعوب رعوية تحولت إلى شعب سوداني بعد أن اتخذت من اللغة السودانية لغة لها، كما أخذت عنهم بعض المظاهر الحضارية وبعض العادات، وأغلب هذه القوميات والشعوب اعتنقت الإسلام في فترات تاريخية متعددة، وكان للمغرب الأقصى دور مهم في نشر الإسلام بينهم[5].

---

[1]- الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**. بنغازي، 1997م، ص: 31.

[2]- أحمد طاهر ،**إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر**. دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1985م، ص: 27.

[3]- الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي، **المسالك والممالك**. تر: محمد جابر عبد العال، دار القلم، د.ط، 1961،ص: 72.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**.ج: 6، بيروت، دار الفكر، 2000، ص: 126.

[5]- الفيتوري عطية مخزوم، المرجع السابق، ص ص: 23-24. للإطلاع على خريطة القبائل الرئيسية في غرب إفريقيا ينظر الملحق 02 ص86

1- المانديجو:

عرفت قبائل المانديجو أيضا باسم الماندي، وهم عبارة عن مجموع من القبائل السودانية الإفريقية التي تجمعهم روابط لغوية وحضارية مشتركة[1]، والذين امتزجوا فيما بينهم خلال الألف سنة الأخيرة قبل الميلاد على أقل تقدير، وشكلوا غالبية سكان الأقاليم الواقعة بين الروافد العليا لثلاث أنهار رئيسة في الغرب وهي السنغال غامبيا وأعالي النيجر، أي أنهم انتشروا في جميع أقاليم السودان الغربي الواقعة في جنوب السنغال وأعالي النيجر أي من المحيط إلى قلب نيجيريا، ولم تتوافر عنهم معلومات ذات أهمية إلا مع القرن 6هـ/12م. والمانديجو هم العناصر الأساسية لشعوب دويلات غرب السودان في غانا ومالي، ويعتبرون أنفسهم من أنشئوا مملكة مالي، وهذا عند اعتناق رؤسائهم للإسلام مع بداية القرن 7هـ/13م.وتفرع المانديجو إلى عدة قبائل من أهمها البامبارا (Bambara)، المالينكي (Malinké)، صوصو، الغالونكي والسامانكي (Samaki)، الديولا...إلخ[2].

أ- ديولا (Doyoula):

تواجدوا بغينيا بيساو[3]، وحافظ غالبيتهم على دياناتهم القديمة لفترة من الزمن، ولكن سرعان ما أسلموا نتيجة اتصالهم بشعوب المالينكي[4]. واشتهروا بالتجارة وبفضلها انتشروا في مناطق ساحل العاج، وساحل الذهب والتوغو[5].

ب- السوننكة:

يعتبرون من أكثر الشعوب أهمية وحيوية بين شعوب الماندي، فقد هيمنوا على تاريخ المنطقة خلال العصر الوسيط، عرفوا أيضا باسم "السيراكول" (Sérakoulé) التي تعني عند قبائل الولوف "الرجال الحمر". سكنوا في البداية في الصحراء ثم انتقلوا إلى السواحل الغربية للمحيط الأطلسي، وبعدها توغلوا جنوب الصحراء في المناطق الواسعة الممتدة ما بين أعالي نهر السنغال في الغرب وبحيرات النيجر،

---

[1]- نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1974، ص: 18.

[2]- الفيتوري عطية مخزوم، المرجع السابق، ص: 24.

[3]- شوقي عطا الله والجمل إبراهيم، **تاريخ المسلمين بإفريقية ومشكلاتهم**. القاهرة، دار الثقافة للنشر، 1996م، ط1، ص: 45.

[4]- CUOQ Josèphe, **les musulmans en Afrique**. Paris, E[d] Larousse, 1978, P: 127.

[5]- CORNEVIN Robert, **Histoire des Peuples de L'Afrique Noir**. Paris, E[d] Berger-Levrauts, 1962, P : 241.

واعتنقوا الإسلام في وقت مبكر[1]. واستوطنوا المنطقة الساحلية المحاذية للصحراء من الجنوب، وموطنهم الأصلي هو منطقة وكدو التي انتشر منها إلى المناطق المجاورة، وهم أيضا خليط من شعوب الصحراء والساحل وحوض النيجر، تمازجت وانصهرت مع الوقت بعد أن اجتمعت نواة هذا الشعب الأصلية وهي كنكارة، وخلال الفترة الممتدة من القرن 2-5هـ/8-11م، كان سوننكة من أكبر وأقوى العصبيات السودانية في غرب إفريقيا[2].

جـ- ماندنكة (Mandinka):

زراع مهرة انتشر الإسلام بينهم منذ القرن 8هـ/14م ويتواجدون على طول كل من مالي غينيا بيساو والسنغال[3].

د- بامبارا:

سكنوا المنطقة الممتدة ما بين واد النيجر الأعلى والسنغال الأعلى[4]، ويعرفون أيضا باسم"بامانا" (Bamana)، وهم وثنيون قدموا من أعالي ساحل العاج نحو النيجر خلال القرن 6هـ/12م، وتوغلوا شرقا نحو حوضي نهري النيجر وباني منذ القرن 7هـ/13م. وكانوا في الأصل ينتسبون إلى إمبراطورية مالي، ولكن بعد هزيمة ملوكها على أيدي الأساكي بدأت قبيلة صغيرة منهم تظهر في منطقة سيقو (Ségou)، حيث أسست مملكتها الخاصة بعد أن انضم إليهم فلان ماسينا فتجاوروا مع سولينكي وبوزو (Bozou) على ضفاف نهر النيجر[5]. وتمكن بامبارا خلال القرن 11هـ/17م من الانفصال عن مملكة مالي وإمارة تمبكتو التي كان يحكمها باشاوات مراكش، وتحولت هذه الإمارة الصغيرة في عهد أحد ملوكها إلى دولة كبيرة منظمة غاية التنظيم، ورفض قسم من قبائل بامبارا أن يعترف بهذا الملك وترك بلاده وهاجر صوب الشمال الغربي وأسس مملكة كارتا.وحاليا تنتشر قبائل بامبارا على طول النيجر الأعلى والسنغال الأعلى

---

[1]- محمود حسن أحمد، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**. القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2002م، ص: 173. دندش عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/ 1038-1121م)**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ص: 46.

[2]- النابي ولد الحسين، **صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**. تق: محمد حجي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007م، ص: 408.

[3]-CUOQ Josèphe, Op.Cit, P: 126.

4- نعيم قداح، المرجع السابق، ص 18.

[5]- CORNEVIN Robert, Op.Cit, P: 242, 258.

وفي وادي نهر غامبيا وفي المناطق الداخلية من جمهورية غينيا ومالي.وكانت لهذه القبائل مكانة كبيرة في إفريقيا الغربية بفضل سعة بلادهم وكثرة عددهم، فماندينجو هم أرباب التجارة ما بين الساحل الأطلسي الغربي والنيجر الأعلى، وتجارتهم هي الملح وجوزة الكولة، وانتشرت لغتهم إلى ما وراء حدود بلادهم بفضل تجارتهم، وامتزاجهم مع مختلف القبائل، لذلك أصبح من الصعب جدا معرفة أصل هذه القبائل[1].

2- سنغاي (Songhay):

يقال لهم أيضا سنغهاي وصنغاي، استوطنوا حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد، ثم انتقلوا إلى الشمال مع منطقة النيجر الأوسط وفي القرن 2هـ/7م كانت مساكنها تمتد حول ضفتي النيجر بحوالي 150كم وشغلوا الأقاليم الواقعة جنوب مدينة تمبكت الممتدة على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من داهومي عند مدينة داندي إلى جنوب فولتا العليا (بوركينا فاسو) وشمال نيجيريا[2]. ومن أهم عشائرهم **عشيرة ألدو** الذين امتهنوا الصيد النهري صيد الأسماك وزراعة الدخان[3]، عشيرتي **كورومیا** و**كولومانص** مارستا النشاط الزراعي، وعشيرة **سوركو** و**كو** مارسوا الصيد البري، واختلطت بتلك العشائر مجموعات من المهاجرين الماندينجو القادمين من الغرب فضلا عن مجموعات صنهاجية هاجرت من صحراء الملثمين خلال القرن 1هـ/7م، وتجاوزت منعطف نهر النيجر جنوبا لتدخل ضمن تلك العشائر وتشكل معا شعب صنغاي[4].

ومن جهة أخرى يذكر البعض أنها هاجرت مع قبائل البربر التي اعتادت الانتقال جنوبا بحثا عن الرزق، وهي من قبائل لمطة التي استطاعت أن تستقر حول النيجر في القرن 2هـ/8م، وبسطت نفوذها على أهالي تلك المناطق، وهناك أقوال تذهب إلى القول بأن شعب صنغاي جاؤوا أصلا من مصر وسكنوا مدينة أغاديس أولا حيث وصلتهم هجرات جديدة من صعيد مصر، ومع هذه الهجرات تحركوا نحو حوض نهر النيجر الأوسط حيث استقروا هناك وبسطوا نفوذهم. أما اليوم فإن قبائل صنغاي تتوزع

---

[1]- حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963م، ص: 126.

[2]- إسماعيل العربي، **حاضر الدول الإسلامية**. الجزائر، مؤسسة الكتاب، ط1، 1984م، ص: 242.

[3]- زبادية عبد القادر، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989م، ص: 11، ص: 20.

4- الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص ص: 407-408.

بين جمهوريتي مالي والنيجر في المناطق المحيطة بمدينة جاو، وتوجد منهم أقليات في مدينة أغاديس، تمبكت، جني، وشمال البنين (داهومي سابقا)[1].

مما سبق ذكره نتوصل إلى أن هذه القبائل جاءت من الشمال واستقرت حول حوض النيجر ولم تكن زنجية الأصل. وأما الإسلام فقد بدأ يتسرب بينها عن طريق العلاقات التجارية التي نشأت بينها وبين بلاد المغرب الإسلامي، أو عن طريق حركة القوافل المستمرة من الطرق الصحراوية، أو عن طريق هجرات القبائل الرعوية وتحركاتها سواء كانت قبائل عربية أو بربرية، كما تجدر الإشارة إلى أن الأسر المهاجرة إلى صنغاي أوائل القرن 8هـ/14م اختلطت دماؤها بدماء أهل البلاد الأصليين التي كانت بطبعها مسلمة، واتخذت هذه القبائل التي بسطت نفوذها على أهالي تلك المناطق من مدينة كوكو عاصمة لها[2].

3-قبائل الهاوسا:

ورد ذكر الهاوسا في بعض المراجع باسم "الحوصا"، ومعنى كلمة الهاوسا حسب علماء اللغة "راكب الثور"، وقيل الهاوسا هي لغة، وقيل تعني كل الشعوب وسط وغرب بلاد السودان التي تتحدث الهاوسا لغة أصيلة وأساسية، فكلمة الهاوسا مدلول لغوي لا جنسي[3]. والهاوسا عبارة عن مجموعة من القبائل والجماعات المنتشرة في غرب أفريقيا وهي قبائل تعيش بشمال نيجيريا سيطروا قديما على مساحات كبيرة تمتد من الصحراء الكبرى شمالا إلى خليج غينيا جنوبا، ومن تشاد والكامرون شرقا إلى أعالي الفولتا غربا[4]، ولكن يتركزون أساسا في نيجيريا وينتشرون في مقاطعات سوكوتو، كانو، كاتسينا، زاريا وباوتشي وذلك بين الصحراء الكبرى شمالا والبرنو شرقا ومنحنى نهر النيجر غربا والمناطق الساحلية لخليج غانا الكبير جنوبا[5].

---

[1]- إلهام محمد علي ذهني، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ضد الاستعمار الفرنسي (1750- 1914م)**. الرياض، دار المريخ، 1988، ص: 35

[2]- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **حركة المد الإسلامي في غربي إفريقيا**. القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ط1، 1985م، ص ص: 107-108.

[3]- مزدلفة عمر محمد ثاني، **التاريخ الاجتماعي لمجموعة الفلاني بجنوب النيل الأزرق في الفترة (1900-2006م)**. مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، قسم الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2007م، ص: 13.

[4]- ناجي علي أيوب، **لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس و اليوم**. الكويت، دار الكتاب الحديث، ط1، 1996م، ص: 33.

[5]- بوعزيز يحي، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**. الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، ط1، 2001م، ص: 133.

ومنذ العصور القديمة كان الهاوسا يختلفون عن القبائل السودانية نتيجة تفوقهم في الصناعة اليدوية خاصة الصناعات النسيجية، كما قاموا بنشاط تجاري مزدهرمع الشعوب الأخرى،وتمكن تجارهم بفضلها من الوصول بتجارهم إلى غاية القسطنطينية والقاهرة. كما خالط الهاوسا عناصر بربرية من الشمال وأخرى عربية من الشرق[1]، وبفضل هذا التمازج والاتصال أصبحت لديهم لغتهم الخاصة التي استخدموها في التجارة والمعاملات الخارجية والعلاقات الدبلوماسية في غرب إفريقيا[2]، وانتشرت على نطاق واسع في غرب القارة فهي لينقي فرنكا (Lingue franca) أي لغة المعاملات التجارية والمالية، وأصبحت اللغة الهوسوية اللغة الثالثة في إفريقيا بعد العربية والسواحلية. ودانت قبائل الهوسا بالوثنية قبل أن تتحول في القرن 7هـ/13م إلى الإسلام الذي انتشر انتشارا واسعا وترك أثارا بعيدة في حياة هذه القبائل الاجتماعية والدينية، وأخذت هذه الإمارات تعتنق الإسلام الذي انتشر بينها، كما أنها وقفت موقف الحذر من الاستعمار البريطاني ونفرت من الثقافة الغربية، ولم تجد المسحية منفذا بينها بفضل قوة انتشار الإسلام بها[3].

4- يوروبا (Les Yoroubas, Yorubas):

تعتبر من أعرق قبائل المنطقة نظرا لتنوع قبائلها وتعددها إضافة إلى هجراتهم المختلفة، والتي بفضلها أصبحوا يسيطرون على الجنوب الشرقي من النيجر وصولا إلى غاية داهومي، وتتوزع قبائلهم في الجنوب الغربي من النيجر، غير أن البعض منهم يوجد في الإقليم الشمالي. أما عن أصلهم افيه اختلاف هناك من يرى بأنهم جاؤوا من مكة، ورأي آخر يقول بأنهم قدموا من صعيد مصر ودليلهم أن طريقتهم في دفن موتاهم تشبه طريقة القدماء المصريين[4]. ورواية أخرى تقول بأنهم جاؤوا من أعالي النيل وأسسوا مدينة إيفي (Ifi) التي تعتبر مدينتهم المقدسة[5].

---

[1]- نعيم قداح، المرجع السابق، ص: 19.

[2]- الفيتوري عطية مخزوم، المرجع السابق، ص: 26.

[3]- زاهر رياض، **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا**. مصر، مكتبة أنجلو، ط1، 1968م، ص: 290.

[4]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص: 125.

[5]- CUOQ Josèphe, Op.Cit, P: 245.

الرواية العربية هي روايتان الأولى ترجع أصلهم إلى النمرود بن كنعان[1]، والرواية الثانية يقول أصحابها أن يوروبا قدموا من بلاد العرب بعد أن ضغط قبائل يعرب بن قحطان، فهاجروا موطنهم الأصلي واتجهوا نحو غرب إفريقيا، وأخذوا يتقدمون في سيرهم حتى وصلوا إلى مدينة باربا فنزلوا بها، ولهذا يدعي اليوروبا أن كل قبائل السودان قد انحدرت منهم، وبالتالي استقروا بعد الهجرتين الأولى ما بين القرن 2-4هـ/6-10م والثانية خلال القرن 7هـ/13م واسم "يوروبا" هو تحوير لاسم "يعرب"[2].

وامتد ملكهم من مصب نهر النيجر شرقا حتى بلاد داهومي غربا، فانتشروا إلى غاية توغو ونواحي داسا (Dassa)، يتو (Ketto)، ساكيتي (Sakité) وسافي (Savi)، ونجدهم أيضا بنيجيريا بالناحية الشمالية خاصة وبضواحي أبيوكوتا (Abeokuta)، إيجيبي (Igibé)، أوندو (Ondo) وأويو (Oyou)[3]. ويطلق على ملكهم اسم "**الأفين**"، وكان زعماء قبائلهم يحضون بالتقدير والاحترام إذ كان يسود اعتقاد بأنهم من سلالة السماء، وانتشر الإسلام بينهم بفضل قبائل الفلاني[4].

5- فولاني فلان فلاني:

تعتبر من أهم القبائل الإفريقية من حيث التأثير والانتشار، واختلف المؤرخون حول أصلهم، ومن المهم معرفة أصول هؤلاء المحاربين الرعاة الذين كان لهم دور هام في تاريخ المنطقة من السنغال إلى غاية الكاميرون، لذا نجد العديد من النظريات والروايات حول هذه المسألة منها الرواية المحلية والعربية والغربية، إضافة لرواية علماء الأجناس واللغات. ويرى لويس توكسيي بأنه من الأفضل الأخذ بنظريات علماء الأجناس واللسانيات الذين اعتمدوا على العلم لإثبات نظرياتهم من خلال دراسة أنثربولوجية للفولانيين ودراسة لغوية للغاتهم ولهجاتهم، والأقرب إلى الصواب حسب دراسات علماء اللغة والأجناس أن الفلان من أصل حامي كوشي ولغتهم أيضا وبالتالي فهم من أصول إثيوبية.المهم أنهم مجموعة كبيرة من القبائل الرعوية البدوية، ولغتهم السودانية، وقد أصبحوا خلال مراحل تاريخهم من أهم القوميات الكبرى في السودان الغربي والأوسط. وفي بداية الأمر هاجروا إلى غرب السودان ثم إلى السودان الأوسط واحتلوا أقاليم السنغال الأوسط حيث أقاموا هناك دولة صغيرة لهم ومنها تسربوا نحو الشرق والجنوب، وفي نهاية

[1]- ناجي علي أيوب، المرجع السابق، ص: 43.

[2]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص: 126.

[3]- CORNEVIN Robert, Op.Cit, P: 382.

[4]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص: 125.

القرن 13م وصلوا إلى غرب إفريقيا وأصبحوا تابعين لإمبراطورية غانا التي زحف عليها المرابطون فيما بعد، فاعتنق معظم الفلان الموجودين بها الإسلام، وبعد استيلاء مالي على غانا في نهاية ق 13م أصبحوا جزءا من المملكة الجديدة وازداد انتشار الإسلام بينهم، وبعد سقوط مالي خضعوا لإمبراطورية سنغاي وبعد سقوطها إثر الزحف المراكشي زادت مكانتهم لأن المراكشيين لم يوطدوا حكمهم هناك، فاندفعوا نحو الشرق وانتشروا كرعاة بين القرى الزراعية، ونشط التجار وازدادوا قوة مع ق 16م بوجود إمارات الهاوسا التي استقروا بها[1].

تمكنوا من تأسيس إمبراطورية كبيرة حيث اهتموا بالزراعة مما عاد عليهم بفوائد اقتصادية كبيرة، مكنتهم من التطور، فنشطت التجارة وتوسعت الأسواق، وقطنوا بالمناطق التي سكن بها الولوف، وبعد أن دخلوا إلى الإسلام شاركوا عبد الله بن ياسين في جهاده وكثر تواجدهم بالسنغال، ثم سلك الفلانيون طريق الجنوب في رحلاتهم ثم اتجهوا نحو الشرق انطلاقا من السنغال إلى غينيا في فوتاجالون ثم إلى مالي ثم فولتا العليا فالنيجر وأخيرا نيجيريا حيث أسسوا دولة سوكوتو بزعامة عثمان بن فودي الفلاني واختلطوا مع قبيلة البوفر الموجودة بالمنطقة قبلهم، وتصاهروا فنتج عنصر بشري جديداسمه "فولبي"[2].

6- توبو (Toubou):

أو تيدا لأن اسم توبو أو التبو أطلق عليهم من قبل الأوربيين، وعرفوا باسم كتشر في بحر الغزال. وتوبو هم من سكان كوار سكنوا منطقة متواضعة في غرب كوار تمتد إلى مرتفعات الهجار، كما انتشروا في فزان وامتدوا في جبال تبستي وما يجاورها، ومجموعات منهم وجدت في بحر الغزال وفي بلاد الكانم ويتكلمون لغة خاصة بهم التي تنتمي للغات الصحراوية، وينقسمون إلى فرعين فرع في تبستي والثاني في بوركر وإيندي، وكل فرع ينقسم إلى مجموعة قبائل مختلفة حيث يضم الفرع الأول أربع مجموعات والثاني أربع عشر قبيلة، وتوبو ليسوا بيضا صرحاء ولا سودا خالصين وإنما هم شعب هجين أسلموا منذ زمن طويل، وكان منه الدعاة، كما أنهم عملوا أدلاء للقوافل وخدمة التجار، وإلى جانب هذه القوميات

[1]- الفيتوري عطية مخزوم، المرجع السابق، ص: 28.

[2]- المرجع نفسه، ص: 28.

الكبرى لشعوب السودان الغربي وجدت قبائل أخرى كبرى وصغرى التي أسلمت مصيرها للشعوب الحاكمة للمنطقة[1].

2- الممالك التي قامت في السودان الغربي:

عرفت القارة الإفريقية وجود حضارات وممالك كانت خاضعة للقيادة الإسلامية واعتنق أهلها الإسلام في وقت مبكر منذ ظهوره في الجزيرة العربية عبر شمال إفريقيا[2]، وهذه الممالك لعبت دورا في ازدهار منطقة السودان الغربي كما سيطرت على مجرى الأحداث ومن أهمها:

أ- مملكة غانة (...-469هـ/300-1076م):

تعتبر مملكة غانة أول تنظيم سياسي متطور عرفته بلاد السودان خلال العصر الوسيط فهي أول مملكة أفريقية امتد عمرها حتى القرن 5هـ/11م، وإذا كنا نجهل الشيء الكثير عن أصولها التاريخية، فهي تجربة مخضرمة إذ كانت في المرحلة الأولى مملكة وثنية وفي مرحلة ثانية مملكة إسلامية، والكتابات العربية هي التي استطاعت أن تنتشلها من المجهول، الأمر الذي مكننا من معرفة بعض التطورات التي عرفتها المملكة خاصة في خلال القرنيين الأخيرين من تواجدها.

تعتبر أقدم دولة قامت في غرب إفريقيا، وأول إمبراطورية ذات نفوذ إسلامي ظهرت في السودان الغربي خلال العصور الوسطى[3]، وقد بلغت ذروته مجدها وعظمتها وكانت ظاهرة سياسية وحضارية ومركزية فريدة[4]، حيث أصبحت تسيطر على المسافات الممتدة من أعالي نهر السنغال وأعالي نهر النيجر جنوبا وأغلب الصحراء الغربية[5]، وأنه لا يعرف على وجه الدقة تاريخ نشأة مملكة غانة ولا مؤسسها الأول، ولكن الاعتماد على ما أوردته بعض المصادر الأساسية في كتابة تاريخ السودان، حيث تمكن الباحثون والمهتمون في تكوين العديد التأويلات والتصورات حول هذه المملكة[6]، حيث تشير بعض

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 28.

[2]- الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي**، ص: 21.

[3]- أحمد الشكري، **الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي**. أبو ظبي، منشورات المجتمع الثقافي، د.ط، 1996، ص: 57

[4]- محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**. ج: 1، الكويت، مؤسسة خليج، د.ط، د.س، ص: 30.

[5]- أحمد نجم الدين فليحة، **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**. القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة،.ط، د.س، ص: 39.

[6]- أحمد الشكري، المرجع السابق، ص: 110.

الدراسات إلى أن غانة ظهرت لأول مرة في التاريخ كبلاد الذهب[1]، واشتهرت غانة وموقعها في التاريخ، لم يأتي إلا مع الكتاب العرب اعتمادا على ما أوردته بعض المصادر الجغرافية فابن حوقل هو أول من حدثنا عن غانة قائلا: "سيطرت على مناجم الذهب في الجنوب، ولذا سمي ملوكها بملوك الذهب"[2]. أما عن ابن بطوطة لم يذكرها لأنها لم تكن قائمة كدولة كبرى في أثناء رحلته، ولكنه وصف أحوال وعادات الشعب الذي كان يسكن أرضها[3]، أما ياقوت الحموي فقد قال عنها: "... وغانة كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركا من العربية وهي مدينة كبيرة، في جنوب بلاد المغرب متصلةببلاد السودان"[4]، أما القلقشندي الذي قال عنها: "أن بلاد غانة تقع غرب بلاد صوصو تجاور البحر المحيط المحيط الغربي وقاعدتها مدينة غانة"[5]. وحدد الإدريسي المجال الجغرافي لغانة بأنه ممتد من جهة الغرب ببلاد مغزارة ومن الشرق ببلاد ونقارة ومن الشمال بالصحراء المتصلة التي بين أرض سودان العرب المغاربة ومن الجنوب بأرض الكفر من اليميم"[6]، وأورد المسعودي بهذا الخصوص "وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك[7].

إذا فالإطار الجغرافي العام لمنطقة أوكار التي تقوم عليها المملكة تم توطينها فيمل بين نهر السنغال غربا والنيجر شرقا، وعلى حدوها الشمالية تتحرك القبائل البربرية والصحراوية، وفي الفترة التي بلغت فيها قوتها تمكنت من مد نفوذها جنوبا لكنها لم تلامس قط مقدمة الغابات الاستوائية. أي أن مملكة غانة تشمل الآن جنوب موريتانيا وشرق السنغال وجزء من مالي، ويمكن إضافة غينيا كحدود وصلتها في أوج قوته[8].

ولقد اقتبست مملكة غانة اسمها من المدينة التي كانت عاصمة للدولة أي مديمة غانة[9]، وكما أن أن اسم غانة في الأصل من لقب ملوكها ثم أطلقت على كل مملكة[1]، ونجد البكرى الذي قال: "غانة

---

[1]- الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا**. بيروت، دار الملتقى، ط1، 2001، ص: 15.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 95.

[3]- عبد الرحمن زكي، **الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا**. مطبعة يوسف، د.ب، د.ط، د.س، ص: 15.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج: ، ص: 770.

[5]- القلقشندي، المصدر السابق، ج: 5، ص: 284.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 14.

[7]- الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي الإسلامية**، ص: 22.

[8]- جوان جوزيف، **الإسلام في ممالك إمبراطوريات إفريقيا السوداء**. تر: محمد السويقي، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1404هـ/ 1984م،ص: 49.

[9]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص: 108

سمة كملوكهم واسم بلد أوكار[2]، وهذا فقد تعنى غانة البلد كما تعنى أيضا العاصمة، وقد تعنى اسم الملك ومن جهة أخرى فإن تسمية غانة أطلقها المؤسسون الأوائل لهذه الإمبراطورية، وهم من المهاجرين البرقاويين الليبيين، والتجار الواردين على المنطقة من الشمال الإفريقي نظر لأنها كانت غنية بالذهب[3].

أما عن أصل سكانها فالروايات تختلف من راوي إلى آخر حول أصول غانة، بأن مقدمهم من واد دجلة والفرات أي أن لهم أصولا آشورية وبابلية قديمة، ونجد رواية أخرى تقول إن أغلب سكان غانة في العصور الوسطى من قبائل السونيك، وهم الماند الأساسية، أي مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الماند[4].

أما عن مدنها فكانت مدينة الملك، هي المقر الإداري والرسمي للمملكة وتعرف بالغابة نظرا لما تحيط بها من أحراش[5]، وهذه مدينة المباني المتصلة ببعضها والمبنية بالأحجار، أما الملك فله قصر خاص به ومدينة ومسجد على مقربة من القصر يصلي فيه، ولها ثياب وغابات يسكن فيها الذين يمارسون مهنة السحر وبها قبور ملوكهم وكان لها حراس يقدمون على حراستها[6]، وقد عمل ملوك غانة على تولية المسلمين أرفع المناصب في الدولة، فكان منهم الوزراء وأمراء الجيوش والحراس والأمناء للصناديق والمترجمون للملك[7]، وقد ذكر البكري أن غالبية الوزراء كانون من المسلمين، والقائم بشؤون ترجمة بلاط الملك ووزير الخزانة كانا من المسلمين أيضا[8]، وقد استقر بالعاصمة عدد كبير من التجار المسلمين الذين تحكموا في التجارة السودانية، حتى أصبح لهم نفوذ كبير في إمبراطورية غانة على التجارة كمصدر رئيسي في اقتصادياتها خاصة تجارة الذهب، حتى صارت تعرف ببلاد الذهب وبأن أرضها كلها ذهب، وأصبح ملوك غانة من أغنى ملوك الأرض وأيسرهم لما يملكون من الأموال والذهب[9].

---

[1]- زكي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 16.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص: 16.

[3]- الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 22.

[4]- الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي**، ص: 22.

[5]- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص: 57.

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص111.

[7]- بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**. تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، بنغازي، منشورات جامعة قاربوش، ط2، 1988، ص: 149.

[8]- الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي الإسلامية**، ص17.

[9]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص: 108، 111.

تأسست مملكة غانة في القرن الرابع بعد الميلاد على يد جماعة من البيض كانت من المهاجرين من الشمال الإفريقي وبالتحديد من برقة بليبيا[1]، ثم استقرت في منطقة أوكار وسط مجموعة من قبائل الزنوج تتكل لغة الماندي، أغلب هذه المجموعة من سونينك، ثم صارت ذات قوة خلال القرن4م، ثم جاءت بعدهم عائلة حاكمة من السود من سونينكي هي أسرة سيسي تمكنت من طرد أسرة البيض الحاكمة في القرن 8م، وسيطرت هذه على السودان الغربي بأكمله[2].

واتخذت دولة غانة عاصمة لها عرفت باسم كومبي صالح (Koumbi)، تألفت من قسمين هامين: يقع كل قسم منها على تل ويمتد على الوادي على رقعة سهل فسيحة، وكان كل قسم يبعد عن الآخر نحوستة أميال[3]، مدينة يقطنها المسلمون وهي مدينة كبيرة وجميلة[4] وتحدث البكري عنها قائلا: قائلا: "غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا، بها الأئمة والمؤذنون والفقهاء والعلماء، وتحيط بها الآبار العذبة منها يشربون، وعليها يزرعون الخضروات"[5]. والواقع أن إمبراطورية غانة لم تسيطر على المصادر الرئيسية للذهب، ولكنها كانت تتحكم في الطرق المؤدية إليها، كما أنها استطاعت أن تضم إليها بعض من المناجم[6]، وسيطرت كذلك كذلك على الطريق التجاري العام الذي كان يسمى "طريق الملح والذهب"[7].

وذكر جميع الرحالة أن غانة عرفت الحديد وصناعة الأسلحة، كما عرفت الذهب الدين الذي يتاجرون به مع أهل الشمال ويبادلونه بالملح وسلع أخرى، و كانت دولة قوية اعتمدت على تجارة منظمة، وقيل بأن أهل غانة لم يتعلموا التجارة فقط بل مارسوا فنونها ووضعوا قواعد الضرائب والرسم الجمركية، فمثلا كانت الحكومة تفرض دينار من الذهب على كل حمل حمار من الملح يدخل المدينة[8].

كما اشتهرت بقوة جيشها وكثرة عدده، فيقول البكري: "فإذا احتفل ملك غانة، ينتهي جيشه إلى مائتي ألف منهم رماة أزيد من أربعين ألف، وخيل غانة قصير جدا"، تسلح جيش غانة بالأسلحة

---

[1]- دنيس بولم، **الحضارات الإفريقية**.تر: علي شاهين، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، 1974، ص: 49.

[2]- الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي الإسلامية**، ص: 23، 26.

[3]- دنيس بولم، المرجع السابق، ص 50.

[4]- الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 17.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص: 175.

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص: 11.

[7]- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص 51.

[8]- جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعة، **أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ إفريقيا**. دار الوفاء، د.م.ن، د.ط، د.س.ط، ص: 27.

الحديدية التي تساعد على تحقيق انتصارات عظيمة على جيرانه تمثلت في نساب والمزاريق الحديدية والسيوف والخناجر والسهام السامة ولجيشها حدق في رمية[1]، وعلى الرغم من قدم مملكة غانة إلا أن ذروة مجدها وقمة ازدهارها لم تبلغها إلا بين القرنين 3-5هـ/9-11م، عندما ظهرت المؤتمرات العربية الإسلامية فيها بشكل جلي[2]، وبدأ الضعف يدب في مملكة غانة منذ عام 603هـ/1203م، حتى جاءت نهايتها من مسرح التاريخ السياسي في غرب إفريقيا على يد قبائل صوصو وضمها إلى مملكة مالي الإسلامية[3].

ب- مملكة مالي (1230-1430م):

بعد تفكك إمبراطورية غانة بفعل جهاد المرابطين، وانسحابهم من المنطقة وجد فراغ سياسي جعل عددا من الأقاليم التابعة لغانة تنفصل عنها، وتمخض عن هذا الصراع من أجل السلطة إلى أن آل الأمر إلى الماند نحو المسلمة حيث يرجع لها الفضل في تكوين مملكة مالي[4]، إذ يقول السعدي عن بزوغ مالي "إنه لما انقرضت دولة غانة خلفها في السلطة أهل مالي وهم سودان في الأصل فوسعت سلطتهم كثيرا"[5].وتمتد هذه المملكة على طول أحد فروع النيجر في مسافة نحو ثلاث مائة ميل وتحدها غربا غابات مهجورة تمتد إلى المحيط و شرقا إقليم كاغو[6]، وسمي الإدريسي مدينته مالي بملل ويقول عنها: "إنها مدينته صغيرة كالقرية الجامعة لا سور لها، وأهل ملل متحصنون قبة عمن يطرقهم من سائر السودان"[7]، وهذه المملكة شديدة الحر وأهلها طوال في غاية السواد وغالب طول أهلها من سوقهم لا من هيا كل أبدانهم[8]، ودخلها الإسلام منذ القرن 4هـ/10م، وقد قامت بها عدة إمبراطوريات إسلامية

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص: 111، 113.

[2]- محمد طاهر الجاسم، المرجع السابق، ص: 39.

[3]- الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي**، ص: 42.

* للإطلاع على خريطة غانة ينظر الملحق رقم 03، ص

[4]- الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي الإسلامية**، ص: 48.

[5]- السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، **تاريخ السودان**. باريس، د.ط، 1981، ص: 9.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 164.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ص: 22.

[8]- صلاح الدين المنجد، **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**. بيروت، دار الكتاب الجديد، ط2، 1982، ص: 43.

كمملكة التكرور[1]، وذكر ابن خلدون أن مملكة مالي اشتملت على خمسة أقاليم كل إقليم منها مملكة بذاتها وهي: غانة، صوصو، مالي، كوكو، تكرور[2].

وهناك أسطورة تتوارثها قبائل ماندنجو تقول بأن أن ملك صوصو سومانجارو دبر حيلة استطاع بها أن يجمع الأمراء الاثني عشر الذين كان ينحصر فيهم حق اعتلاء عرش كانجابا، فقام بذبح أحد عشر أميرا وترك أخاهم الصغير الأمير سندياتا لأنه لا يستطيع تحريك قدميه[3]، وعرف الأمير سونديانا سونديانا عبر التاريخ باسم ماري جاطة، ولم تمضي خمس سنوات حتى استطاع هذا الصغير أن يؤلف جيشا قويا يقوده لقتال صوصو، وتمكن من الانتصار عليهم وقتل إمبراطورهم عام 233هـ/1235م وسار بعد ذلك إلى مدينة كومي صالح عاصمة غانة[4]، وحين اتسعت رقعة الأراضي التي فتحتها سندياتا وضمها إلى إمبراطوريته، وجد أنه من المناسب نقل العاصمة إلى مدينة نيامي الواقعة على نهر النيجر في مكان يتوسط أرجاء الإمبراطورية الجديدة التي أطلق عليها اسم إمبراطورية مالي، وسيطر على التجارة التي كانت قائمة بين الزنوج الزراعيين الذين يملكون الأرض ومناجم الذهب وبين القبائل التي كانت تهيمن على طرق القوافل التي تعبر الصحراء من شمال إفريقيا وإليها[5].

ج- مملكة سنغاي (777-1000هـ/1375-1591م):

وبلغت إمبراطوريتي غانة ومالي شأنا عظيما، واستطاعت السيطرة على بقاع واسعة من مناطق غرب إفريقيا لكن أما من هاتين الإمبراطوريتين لم تبلغ ما بلغته إمبراطورية سنغاي من القوة والسيطرة في خلال القرنين 15 و16م[6]، وهي تعتبر آخر ممالك السودان الغربي التي ازدهرت في المناطق الواقعة ما بين حوضي نهر السنغال ونهر النيجر وهي تشابه مملكة غانة ومالي في استجابتهما للإسلام والمؤثرات الثقافة العربية الإسلامية الوافدة من الشمال الإفريقي[7].

---

[1]- الشيخ رأفت الغنيمي، **المسلمون في العالم تاريخا وجغرافيا**. عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط2، 1998، ص: 171.

[2]- كعت محمود القاضي، **تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرار وعظائم الأمور وتعريف أنساب العبيد من من الأحرار**. تق: ولد السالم، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2012، ص: 94.

[3]- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص66.

[4]- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي غرب إفريقية**. ج: 5، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1998، ص: 119.

[5]- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص: 67.

* للإطلاع على خريطة مالي ينظر الملحق رقم 04، ص

[6]- المرجع نفسه، ص: 81.

[7]- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 301.

وتعد هذه المملكة من أطول الدول عمرا في غرب إفريقيا خلال الفترة التي سبقت الاستعمار الغربي، وكانت تقع شمال ما يسمى اليوم بنين وبوركينافاسو وغرب النيجر وامتدت في الشرق إلى أطراف غامبيا والسنغال، وبدأ ظهور هذه المملكة في القرون الميلادية الأولى[1]، وقد عرف المؤرخون العرب ورحالتهم أيضا مملكة باسم كوكو، وكانت هذه أشهر مدنهم قبل تأسيسهم لدولتهم سنغاي الكبرى[2]. ويرجع أصل قبائل سنغاي إلى قبيلة نشأت على ضفاف نهر النيجر الأوسط في الفترة ما بين القرن التاسع حين غزت قبيلة "ضيا" وهي إحدى قبائل البربر في تلك المناطق وأسسوا أسرة حاكمة وهي أسرة "ضيا"، وتولي الملك أول ملك لهذه القبائل وكان اسمه ضيا العالمين،وفي سنة 1010م أسس الملك "كوزي" (Kosi) أول عاصمة للمملكة وهي مدينة "جاو" (Gao)، تقع شرق الثنية الشمالية لنهر النيجر، وقد اعتنق هذا الملك الدين الإسلامي فأصبح من المعتاد بعد ذلك أن يكون حاكم قبائل سنغاي من المسلمين، رغم أن القبائل نفسها لم تعتنق الإسلام وظلت على ديانتها الوثنية[3].

وتعتبر جاو مركزا تجاريا هاما في المنطقة، فقد قدم جاء إليها التجار العرب والمسلمين من مصر ومن البلاد الإسلامية في شمال إفريقيا وجعلوها محطة لتجارتهم سواء مع مملكة سنغاي نفسها أو مع القبائل، الأخرى من جيرانها في المناطق الواقعة غرب وجنوب المملكة، وسرعان ما أصبحت مدينة جاو مثل مدينة تنبكتو من ناحية الدعوة إلى اعتناق الديانة الإسلامية، فقد امتلأت هذه العاصمة بمجالس العلم، ووفد إليها طلاب من مناطق المملكة ومن المناطق الأخرى المجاورة[4]، حيث اهتم شعب سنغاي بالأدب والعلوم والتدوين بعد أن اعتنقوا الإسلام وتعلموا اللغة العربية[5]، ومن أشهر ملوك سنغاي، أسكيا محمد الكبير والذي حكم من (899-935هـ/1493-1528م) إذ نجح في مد سلطانه إلى كانم، واشتهر تشجيعه للعلماء و فتح معاهد للعلم في جني وجاو[6].

ومن أبرز رجال العلم الذين قربهم الملك أسكيا إليه العالم محمد المغيلي التلمساني وهو من العلماء المغاربة الذين برزو في السودان الغربي في القرن 3هـ/15م، ونلاحظ أن ملوك سنغاي اشتهروا بتشجيعهم للعلم والعلماء، حيث نجد العديد من المدارس، كما أنشئوا جامعة لتدريس العلوم الدينية

---

[1]- محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص: 110.

[2]- عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص: 47.

[3]- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص: 81.

[4]- المرجع نفسه، ص: 81.

[5]- جمال عبد الهادي وآخرون، المرجع السابق، ص30.

[6]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**.د.د.ن، القاهرة، 1998، ص: 93.

والعلوم المدنية الأخرى خصوصا العلوم الطبية.وبلغ عدد الطلاب الذين كانوا يدرسون العلم في تلك الجامعة نحو ألف طالب، وتدل الشواهد التاريخية على أن الأطباء الذين تخرجوا من هذه الجامعة، وكانوا يقومون بعمليات جراحية ناجحة إلى جانب العلاج بالأعشاب الطبية ومركباتها[1]، وحرص ملوكها على نشر الإسلام بين أتباعهم مما سهل ارتباطهم مع بلدان المغرب والمشرق الإسلامي[2].

وبلغت المملكة في عهد أسكيا محمد من القوة والاتساع والتنظيم ما لم تبلغه الممالك التي سبقتها في حكم السودان الغربي، وكان من الطبيعي أن تزدهر التجارة والثقافة في مدن غانة وتنبكتو وجني، خاصة وأن الأسكيا اعتنى بهذه المدن، لكن مع كبر سن أسكيا محمد طمع أبناءه في الحكم عليه بقيادة ابنه الأكبر موسى الذي أجبره على التنازل على الحكم 1528م وطرده من القصر[3]، وبهذا دخلت سنغاي في عصر من الصراعات على حكم بين أفراد الأسرة الحاكمة بعد اغتصاب الحكم، وكان النزاع حول العرش من أسباب من أسباب ضعف هذه المملكة فلم تستطع صد هجمات الطامعين في الاستيلاء عليها، وتمثل ذلك في دولة الأشراف السعديين بالمغرب، التي دخلت منذ صعود محمد الشيخ إلى الحكم في صراع مع سنغاي للاستيلاء على ملاحات تغازة، والتجارة السودانية بصفة عامة، سقطت سنغاي نتيجة هذا الصراع بعد الحملات التي وجهها أحمد المنصور السعدي أواخر القرن 16م، وذلك في عام 1000هـ/1591م[4].

3- وسائل انتشار الإسلام في المنطقة:

انتشر الإسلام في السودان الغربي بطرق سلمية، فكان انتشاره بفضل عدة عوامل منها التجارة، الدعاة وقوافل الحج.

أ- التجارة:

لقد كان للتجارة دور هام في ربط العلاقات بين العرب والمشرق العربي شمال إفريقيا وشعوب بلاد السودان الغربي وعن طريقها انتشرت الثقافة الإسلامية[5]، فكان دخول المسلمين إلى هذه البلاد بهدف

---

[1]- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص ص: 82-83.

[2]- شوقي الجمل وابراهيم عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 95.

[3]- عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**. القاهرة، دار الأمين، ط1، 2000، ص: 42.

[4]- جمال عبد الهادي وآخرون، المرجع السابق، ص 28.

* للإطلاع على خريطة سنغاي ينظر الملحق رقم 05 ص 89

[5]- عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**.القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص: 88.

التجارة في البلاد، حيث اختلط مع الإفريقي ورأى هذا الإفريقي تصرفات التجار المسلمين وصفاتهم والسلوك الحسن، وهذا ما جعله يعتنق الإسلام، حيث رأوا أن التجار المسلمين لا يفرقون بينهم[1]،فقد علموا عند تنقلهم بين المراكز التجارية يتواصلون بسكان هذه البلاد ويؤثرون فيهم بأخلاقهم وأمانتهم، وانتهى هذا التواصل بدخول الكثير من أهل بلاد السودان الغربي إلى الإسلام والسبب في هذا أن بعض التجار كانوا يجمعون بين التجارة والعلم، حيث كانوا يعملون على إنشاء حلقات لتعليم القرآن الكريم[2]، وقد رأى الإفريقي الوثني أو المسيحي في تصرفات هؤلاء التجار وسلوكهم الشخص، القدرة الحسنة التي أقنعته بصحة هذه الرسالة، التي لا يقيم وزنا للون أو الجنس أو الجاه بقدر ما تقيم وزنا لطاعة الله وتوحيده وحسن معاملة الآخرين[3].

وكان لثراء التجار آنذاك دورا كبيرا في تحسين صورة الإسلام في غرب إفريقيا، فبناء التجار لمنزل وجعله مأوى للمحتاجين، حيث أصبح الناس يلتفون به، ويقيمون التجار الصلاة وبذلك يتبعهم باق السكان[4]،وبهذا أصبح هؤلاء التجار يشكلون طبقة متميزة في المجتمع، وحرص هؤلاء على تعليم أبنائهم في المدارس والمساجد وغيرها من المراكز العلمية، حيث أدى ذلك إلى الاختلاط والتبادل الثقافي بين مسلمي المنطقة والتجار الوافدين[5].

1- قوافل الحجاج:

ساهمت رحلات الحج دورا كبيرا في نشر الإسلام، و التواصل الثقافي بين المشرق العربي وبلاد السودان الغربي، ولقد كان حجاج السودان الغربي، ولقد كان حجاج السودان الغربي المتجهون شرقا يشعرون بأهمية اطلاعهم على كل ما يجري في تلك البقاع من أحداث، والاطلاع على ما احتوته تلك الربوع من أثار الصحابة الكرام والعلماء[6].

---

[1]- محمد فتح الله الزيادي، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**. طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط3، 1983، ص: 219.

[2]- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المرجع السابق، ص 94.

[3]- محمد فتح الله الزيادي، المرجع السابق، ص: 218.

[4]- خالدي مسعود، **وسائل انتشار الإسلام في السودان من القرن الأول إلى الخامس الهجريين السابع إلى الحادي عشر الميلاديين**. رسالة ماجستير غير منشورة ، إش: بوبة مجاني، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1412هـ/2000، ص: 58.

[5]- نعيم قداح، المرجع السابق، ص: 125.

[6]- أمطير سعد غيث أحمد، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**. بنغازي، دار الكتب الوطنية، د.ط، د.ت.ن، ص: 165.

وكذلك أن للحج دور كبير في نقل اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى القارة، فقد كان بعض الحجاج يبقون في الحجاز قصد الحج للدراسة، وتحصيل العلم والمعرفة ثم يرجعون إلى بلدانهم لنشر العلم الذي حصلوه في الحجاز، وكان بعض الأمراء والملوك الأفارقة حين حجهم يستقدمون إلى بلدانهم بعض العلماء لتعليم الإسلام واللغة العربية ويجلبون معهم كتبا في العلوم الإسلامية والعربية والثقافة الإسلامية[1]، ولعل أشهر الرحلات التي سجلها تاريخ السودان ومن أهمها، رحلة منس موسى قام بها سنة 720هـ/1324م رحل إلى الحجاز وحمل معه اثنا عشر طنا من الذهب، مما بدل على الثراء الذي وصلت إليه المملكة في عهده، كما أنه شجع الثقافة الإسلامية و خاصة في تمبكتو وجيني وشد عددا من المساجد[2]. كذلك رحلة حج الحاج أسكيا محمد، الذي قام باستقدام العلماء والفقهاء وأكرمهم، وأكثر من بناء المساجد والزوايا، ثم قرر التوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وكان ذلك سنة 903هـ/1497م، وكان بمعيته في هذه الرحلة جمع غفير من أعيان المملكة وشيوخها من العلماء، وعندما وصل بلاد الحجاز وجد فيه إقبالا كبيرا من أهل الحرمين الشريفين، فاشترى قطعة أرض في المدينة المنورة لتكون نزلا لإيواء حجاج بلاد السودان الغربي[3]، وكانت هذه الرحلة للبقاع المقدسة من أشهر رحلات الحج بعد رحلة منسى موسى.

2- الدعاة:

كان للفقهاء والحكماء دورا هاما في تدفق المؤثرات العربية الإسلامية، وازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي، حيث كان هؤلاء يدعون الناس إلى الإسلام ويحفظونهم القرآن ويفقهونهم في أمور دينهم، وأصبحت قرى السودان الغربي تضم دورا لاستقبال الفقهاء والدعاة الذين أصبحوا يعاملون بأعظم مظاهر التقدير والاحترام[4]، وفي هذا يقول الوزان: "السودانيون يعظموا العلماء والفقهاء يوقرونهم، وهم الذين يقضون أحسن الأوقات بين الأفارقة المقيمين في هذه البلاد"[5]. وقد تعاون التاجر التاجر والداعي لنشر دين الإسلام في غرب إفريقيا، فكثيرا ما كان التاجر يدفع من ماله الخاص ليهيأ

---

[1]- إبراهيمعلي طرخان، "الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط". مجلة أم درمان، السودان، ع: 2،1968، ص: 19.

[2]- محمد أبو محمد إمام، **سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية**. وزارة الإرشاد والأوقاف، جامعة إفريقيا العالمية، 1427هـ /2006، ص: 96.

[3]- المرجع نفسه، ص: 97.

[4]- مسعود عمر محمد علي، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيها بين القرنين (8و 10هـ/14و16م)**. ليبيا، منشورات منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003، ص: 40.

[5]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج:2، ص: 125.

المعلم مكانا يلتقي فيه بالناس ويزوده بما يحتاجه من نفقات شخصية، مقابل هذا يعطي الداعي من علمه وجهده الفكري ما يحقق الغاية المنشودة[1].

ومن أبرز خصائص انتشار الإسلام في بلاد السودان أنه ابتدأ بالملوك والأثرياء وأبناء الطبقة العليا في ذلك المجتمع، الأمر الذي شجع أناسا آخرين على الاعتقاد بأن القرآن هو سر نجاح الفرد منهم في تحقيق أهدافه الاجتماعية والاقتصادية لذلك اعتنقوا الإسلام[2]. وهكذا بلغ الدعاة مبلغا كبيرا عند عامة السودان وخاصتهم من أصبحوا يأتمرون بأوامرهم وينتهون بنواهيهم، وهذا ما أكده السعدي، بقوله: "وآخر الحرمة عند الملوك وكافة الناس نفعا بجاهه، ولا يرد له شفاعة بغلط على الملوك وينقادون له أعظم الانقياد ويزورونه في داره..."[3].

وقد زادت أهمية الدور الذي يقوم به دعاة المرابطين بعد الفتوحات الكبيرة التي قام بها جنس المرابطين ويتعقبون الجيش الفاتح لتعليم الناس قواعد الإسلام، وليعلموا على تدعيم الدين ويرجع الفضل في تحويل الكثير من أهالي البلاد إلى الإسلام إلى جهود الداعي منذ اللحظة الأولى التي يعترف فيها المتحول إلى العقيدة الإسلامية[4].

كما وجدت عوامل أخرى ساهمت في نشر الإسلام ومنها تأثير المسلمين في عقول ونفوس سكان المنطقة وهذا من خلال الممارسات والأنشطة المتكرر للمسلمين، انطلاقا من الطهارة والوضوء والصلاة الجماعية، وكذلك الأنشطة الدينية حلال شهر رمضان من خلال الحفلات التي ينظمونها وكذلك حين يذهبون المسلمون إلى أداء فريضة الحج فيسأل الإفريقي عن معنى ذلك، وهذا من فضوله لذلك أثرت تأثيرا كبيرا في عقولهم وأنفسهم.

4- دخول المذاهب الفقهية لبلاد السودان الغربي

أ- المذهب الإباضي في السودان الغربي:

يعتبر المذهب الإباضي من مذاهب الخوارج وهو مذهب اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الإسلاميةتذكيرا، فهو مذهب انتشر في بلاد المغرب وكانت الدولة الرستمية على هذا المذهب،فانتشر هذا المذهب في بلاد السودان الغربي بفضل جهود الدعاة والتجار الإباضيين، حيث وردت في كتب

[1]- الفيتوري عطية مخزوم، المرجع السابق، ص: 106.

[2]- عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص: 7.

[3]- السعدي، المصدر السابق، ص: 42.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص: 151.

السير والحالة أسماء عديدة لتجار ودعاة الاباضية الذين كان لهم دور كبير في نشر و ترسيخ المذهب الاباضي، حيث هاجروا من المغرب واستقروا في السودان الغربي فمنهم من مات هناك ودفن ومنهم من عاد إلى بلاده[1].

وقد برز فقهاء الاباضية في ميدان الدعوة بفضل سلوكهم الحضاري الذي أدهش التجار السودانيين وملوكهم فقد كانت أخلاقهم الطيبة وحسن معاشرتهم وصدقهم، السبب الذي جعل هذا المذهب يبقى مقتصرا على مناطق تواجد التجارة والاباضية دون سواها[2]، فلقد تحدث الدرجيني في كتابه عن بعض التجار الذين سافروا إلى السودان الغربي لغرض التجارة، فقد كان منهم التاجر فلحون بن إسحاق بن واسين الذي قام بزيارة غانة عن طريق سجلماسة وتوفي هناك[3].كما يؤكد الشماخي أن المذهب الاباضي كان هو السائد في البلاد السودانية إلا أنه زال بين مذاهب المخالفين لهم منها المالكية، ويقول في هذا الصدد: "بلاد السودان بغانة وما يليها كانت تدين بالمذهب الاباضي حتى تسامع به المخالفون فقصدوها من كل صوب فردوهم إلى مذهبهم"[4]. ويذكر الادريسي أن الاباضية هم أول قام بالدعوة الإسلامية في السودان الغربي قبل وصول الأعداد الكبيرة من أصحاب المذاهب من أصحاب المذاهب الأخرى، فيقول:"إن تجار وارجلان يتجولان في السودان إلى غانة وونقارة وهم وهابية اباضية"[5].

فقد كانت هناك معاملات وعلاقات بين الدولة الرستمية وملوك السودان الغربي، خاصة في الجانب الاقتصادي، فقد أراد أفلح بن عبد الوهاب السفر إلى غار فكان مشروعه من أجل ترتيب علاقات تجارية في تيهرت مع دولة غاو واعتماد تحالف دعوي لكن هذا التحالف لم يكتمل[6]. وكان شيوخ الإباضية الرستميين يتوافدون على بلاد السودان في تجارة متصلة، حيث يذكر ابن الصغير بأن الإمام أفلح لما كان صغيرا عزم على السفر إلى جاو وبغرض التجارة لكن أباه منعه من ذلك كعقاب له على فشله في الإجابة على سؤال فقهي يتعلق بالربا، ويذكر الشماخي في كتابه السير أن أحد شيوخ وعلماء الاباضية يدعى أبا صالح يسافر إلى غانا بغرض التجارة، وأن شيخا آخر يدعى أبا موسى هارون

---

[1]- خالدي مسعود، المرجع السابق، ص: 685.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص/ 13.

[3]- الدرجيني بن سعيد، **طبقات المشايخ بالمغرب**.ج: 1، تح: إبراهيم طلابي، د.ن، د.ط، د.م.ن، ص: 267.

[4]- الشماخي أبو العباس، **كتاب السير**. تح: محمد حسن، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط1، د.ت.ن، ص: 157.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 296.

[6]- خالدي مسعود، المرجع السابق، ص: 685.

بن أبي عمران استقر في مدينة غيارو المشهورة بالذهب إلى غاية وفاته، فساهم التوافد المبكر والنوعي لجماعات الخوارج الاباضية بالسودان الغربي في اعتناق الكثير من مسلمي السودان الأوائل لمذهبهم، فعندما زار ابن بطوطة إمبراطورية مالي خلال فترة حكم منسا سليمان وجد بها قرية صغيرة يسكنها تجار السودان يسمونها ونجراتة أو ونغارا، فكانت هناك جماعة من البيضان يتمذهبون بمذهب الاباضية من الخوارج ويسمون "صنغنغو"، ويظهر تأثير التجار الإباضيين كان واضحا في اعتناق أهل السودان المذهب الإباضي، لكننا نرى بأن تأثيرهم كان مقتصرا على الفترات الأولى لدخول الإسلام إلى المنطقة، وكان حكرا على عدد محدود من السودان، وهم طبقة التجار بالدرجة الأولى بحكم احتكاكهم الدائم بهم، ورغم ذلك يبقى دور الخوارج وخاصة الإباضية منهم مهما جدا في التاريخ الاقتصادي والديني للممالك السودان الغربي، فبفضلهم عرف أهل السودان الإسلام، فكان عن طريقهم موجة اعتناق الإسلام الأولى في صفوف السودان[1].

ولقد برز فقهاء الإباضية في ميدان الدعوة بفضل سلوكهم الحضاري الذي تميزوا به، والذي أدهش التجار السودانيين وملوكهم، وكذلك أخلاقهم الطيبة وحسن معاشرتهم وصدقهم، حيث كانوا أفضل دعاة للإسلام وللمذهب الإباضي الذي يمثله، وهو ربما السبب الذي جعل هذا المذهب يبقى مقتصرا على مناطق تواجد تجار الإباضية دون سواهمبالإضافة إلى دورهم الديني في نشر الإسلام، فقد ساهم الخوارج بجانب كبير في الجانب الاقتصادي بحكم ممارستهم للتجارة الصحراوية الرابطة بين مدن المغرب الإسلامي وبلاد السودان خاصة بعدما تحالف خوارج الإباضية في تيهرت والصفرية في سجلماسة على احتكار التجارة مع السودان إلى درجة لأصبح فيها من الصعب التفريق بين الإباضية والصفرية، كما وجد عدد كبير من تجار جبل نفوسة الخوارج في المراكز التجارية السودانية كأودغست رغم معارضتهم لعبد الرحمن ابن رستم وابن عبد الوهاب من بعده[2].

ب- انتقال المذهب الشيعي إلى بلاد السودان وعوامل عدم انتشاره

المذهب الشيعي المنتشر في بلاد المغرب هو المذهب الاسماعيلي، وبفضل جهود دعاته بالمشرق تأسست الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وبدأ انتشار ثقافة الدولة الفاطمية في بلاد السودان الغربي مع بداية الدعوة الاسماعيلية ونجاح أبو عبد الله الشيعي في الوصول إلى سجلماسة، وقد تكون قبيلة لمطة

[1]- شعباني نور الدين، المرجع السابق، ص ص: 36-37.

[2]- المرجع نفسه، ص 37

مكي التي نقلت التأثيرات الثقافية من صحراء الملثمين إلى تلك لمنطقة وضمنها المذهب الشيعي الذي قد يكون اللمطيين تبنوه مباشرة بعد اعتناق بني عمومتهم له في أودغست على يد أبي عبد الله الشيعي[1]، فالمذهب الشيعي لم يكن له الحظ الوافر في انتشار في هذه البلاد وهذا لعدة عوامل منها وأنه بالرغم من قوة الدولة الفاطمية واتساع نفوذها بالعالم الإسلامي إلا أنها لم يكن لها تأثير ثقافي كبير على بلاد السودان، فقد ساهمت وساعدت عدة عوامل دينية وسياسية واجتماعية في الحد من انتشار المذهب الشيعي ببلاد الصحراء خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية، وبعد مطاردة أبي عبد الله الشيعي لهم لجئوا إلى الكثير من المراكز التجارية بالصحراء مثل ورجلان وسدراته، مما جعلهم يتحكمون في تجارة القوافل خلال القرن 4-5هـ/10-11م، كما كانت المنافسة السياسية الشديدة بين الدولة الأموية بالأندلس والدولة الفاطمية من أجل السيطرة على بلاد المغرب، بالإضافة أيضا منع مرور القوافل التجارية الفاطمية إلى بلاد السودان الغربي من طرق القبائل الزناتية الموالية للأمويين والمعادية للقبائل الصنهاجية بالصحراء[2].

إن العوائق والصعوبات التي واجهتها تجارة القوافل كان لها أثر على العلاقات، فقد كان المذهبالشيعي بالسودان الغربي ضعيفا، ففي الوقت الذي كانت مؤلفات المذاهب الأخرى تدرس في المساجد مثل مدونة سحنون وموطأ مالك، لم يكن للفقه الشعبي أثر بارز، كذلك الصراع المذهبي بين المالكية والشيعة ببلاد المغرب أثر سلبا على المبادلات التجارية مع السودان الغربي[3].

حيث أن المعز لدين الله الفاطمي لما عزم على توجيه حملته على مصر رصد أموالا كان مجموعها حوالي أربعة وعشرين مليون دينار كان قد جلبها من بلاد السودان، كما ورد في بعض المصادر السودانية أن أحد ملوك كانو بالسودان الأوسط (حكم ما بين457-460هـ/1024-1027م) قد تلقى رسالة مباركة من طرف الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بالقاهرة، ملا يعني بأن الفاطميين كانت لهم اتصالات وعلاقات قوية مع بلاد السودان فيما وراء الصحراء، وهو ما يجدر به أن يترك أثرا مذهبيا في تلك الأراضي، ويمكن القول أن فشل انتشار المذهب الشيعي في بلاد السودان الغربي تمثل في المعارضة التي

---

[1]- الناني ولد حسين، المرجع السابق، ص 482.

[2]- عواشرية خولة، **انتشار المذاهب الإسلامية في السودان الغربي في عهد مملكتي مالي و سنغاي بين القرنين (2-9هـ / 8-15م)**. مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، إش: خالدي مسعود، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2017/2016م، ص ص: 82-83.

[3]- خالدي مسعود، المرجع السابق، ص:687.

شكلها الخوارج في المغرب الإسلامي ضد الشيعة والتي تمثلت في حركة مخلد بن كيداد، والذين لم يكتفوا بمقاومة المذهب الشيعي هناك فقط بل اتجهت نحو الجنوب[1].

ويمكن القول أن معظم المذاهب سواء السنية أو الشيعية لم يكن بقاؤها هناك بصفة دائمة وهذا راجع إلى عوامل أدت إلى انهزام معظم المذاهب أمام المذهب المالكي الذي حقق انتصار واسع على حسابهم. أما فيما يخص المذاهب الأخرى غير المالكية أو الخارجية فلا نكاد نجد لها أثرا في المنطقة حيث لا توجد تأثيرات مذهبية للحنابلة والأحناف والشافعية، أو حتى الفرق الكلامية كالمعتزلة والأشعرية[2]، ومع ذلك توجد بعض الإشارات القليلة جدا التي تدل على وجودها وفي مجال محدود، فقد ورد لدى القلقشندي عند حديثه عن أحد سلاطين كانم أنه من الشافعية ويرجع نسبه إلى أهل البيت وسلطان كانم من نسب قديم في الإسلام أو قد جاء من أدعى النسب العلوي من بني الحسن وتمذهب المذهب الشافعي[3].

وفي الأخير نقول أن بلاد السودان الغربي امتازت بموقع استراتيجي هام، ضم عدد كبير من القبائل التي استطاعت تأسيس ممالك وإمبراطوريات لعبت دورا كبيرا في تاريخ المنطقة، ضف إلى ذلك التفتح الاقتصادي والثقافي والسياسي الذي ظهر مع ظهور الإسلام في المنطقة، ومع انتشار الإسلام انتقلت مذاهب وتيارات أخرى منها ما هو سني وغير سني، وهذا ما يبين الارتباط العميق بين بلاد السودان الغربي وبقية العالم الإسلامي الذي أصبح جزء منه.

[1]- شعباني نور الدين، "التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة". دورية كان التاريخية، ع: 18، ديسمبر 2012 ، ص: 38.

[2]- خالدي مسعود، المرجع السابق، ص: 68، 72.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ج: 5، ص: 2.

الفصل الأول: المذهب المالكي ببلاد السودان الغربي

المبحث الأول: التعريف بالمذهب المالكي و انتشاره ببلاد المغرب

- التعريف بالإمام مالك
- انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب

المبحث الثاني: انتشار المذهب المالكي ببلاد السودان.

- العوامل الداخلية
- العوامل الخارجية

المبحث الثالث: المذهب المالكي في مملكتي غانة و مالي

- المذهب المالكي بمملكة غانة
- المذهب المالكي بمملكة مالي

المبحث الرابع: المذهب المالكي في ممالك سنغاي و التكرور و كانم

- المذهب المالكي بمملكة سنغاي
- المذهب المالكي بمملكتي تكرور و كانم

المبحث الأول: التعريف بالمذهب المالكي وانتشاره ببلاد المغرب

يعتبر المذهب المالكي أحد المذاهب الإسلامية التي عرفت انتشارا واسعا ببلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، وضع أسسه إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، وهو مذهب يأخذ بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وكان له انتشار واسع حتى أنه وصل إلى جنوب الصحراء ومنها إلى السودان الغربي الذي هو موضوع بحثنا، والسودان الغربي كما هو معلوم يضم عدة ممالك، وهذه الممالك انتشر فيها المذهب انتشارا واسعا، وكان الفضل في ذلك إلى المغرب الذي يعتبر المصدر الأساسي في انتقال المذهب إلى السودان الغربي، وفي هذا الفصل سنتطرق أولا للإعطاء لمحة عن صاحب المذهب ثم الحديث عن أهم العوامل التي ساعدت على تسربه وانتشاره بالمنطقة، وأهم الممالك التي انتشر فيها.

1- الإمام مالك:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمر بن الحارث بن غَيْمَان بن خُثيل بن عمرو بن الحارث، وهو إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب الأربعة، أما مولده ففيه اختلاف في تاريخه، والأشهر هو سنة 93هـ/711م بالمدينة المنورة[1].

أ- نشأته

نشأ الإمام مالك في بيت اهتم بالعلم و التعليم، أين تعلم رواية أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، حيث أنه وجد نفسه في بيئة مفعمة بالعلم، فالمدينة كانت منبع العلم وهذا من خلال تواجد الصحابة والعلماء فيها، فتوجه مالك نحو طلب العلم بتوجيه من أمه، فانصرف إلى عدد من العلماء[2]، وأبرزهم ربيعة[3] وابن هرمز[4].

---

[1]- ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تح وتع: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، مدرسة الحديث بجامعة الأزهر، القاهرة، دار التراث، ص: 82.

[2]- المصدر نفسه، ص:98.

[3]- **ربيعة بن أبي عبد الرحمان فروخ**: ويكنى أبا عثمان، وهو من موالي آل المنكدر، فقيه عالم فريد متميز، قوي البيان، حسن الكلام. ينظر: المصدر نفسه، ص: 63 .

[4]- **عبد الرحمان بن هرمز الأعرج**: أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، من التابعين رويعن أبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عنه، ينظر: قادة بن علي، "التعريف بالمذهب المالكي". مجلة الثقافة الإسلامية، ع: 1، 2005، الجزائر، ص: 65.

عرف مالك برسوخه في العلم ومنشورته لأهل العلم قبل التعليم، حيث كان قبل أن يصدر فتوى يستشير أشياخه في ذلك، حيث أنه عرض على علماء المدينة أول مصنف في السنة، فوافق عليه فسماه الموطأ لتواطأ العلماء على ما فيه[1].

ب- تلاميذه:

عبد الرحمان بن القاسم: هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم بن خالد بن عنادة، كان التقاؤه بمالك بعد وهب، وقد طالب صحبته لمالك ولازمه مدة طويلة نحو عشرين سنة وتفقه بفقهه، وكان الحجة الأولى في المذهب المالكي، روي عنه الكثيرين، وكان يرجع إليه في مسائل مالك وفتاويه[2].

عبد الله بن وهب: جاء من مصر إلى المدينة المنورة صغيرا لأجل طلب العلم، وصحب الإمام عشرين سنة، وكان له دورا عظيما في حياة الإمام مالك، وما بعده في نشر فكره ومذهبه وعلمه، وهو أقرب التلاميذ إليه[3].

أشهب بن عبد العزيز: هو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم أبو عمر القيسي العامري، الجعدي من ولدة جعدة بن كلاب بن ربيعة بن عامر، من أهل مصر، ولد سنة 140هـ/757م وقيل سنة 150هـ/767م، وهو تلميذ مالك تفقه على يده، فكان فقيها بارعا، وورعا في سماعه، له حوالي عشرين كتابا، توفي في مصر سنة 204هـ/819م بعد الشافعي بثمانية عشرة يوما[4].

ج- مؤلفاته:

الموطأ: وهو أعظم مؤلفاته إذ يعتبر أول مؤلف إسلامي، وهو كتاب فيه الحديث والفقه والرأي والبيان لما عليه أهل المدينة، جمع مالك فيه الصحاح من الأحاديث والأخبار والآثار وفتاوى الصحابة والتابعين وذكر الرأي الذي يرتئيه إذا كان لرأيه فيها يسوقه مجال واعتبار[5].

---

[1]- أحمد بن محمد بونوة، الإمام شيخ الإسلام مالك بن أنس، مقال منشورفي شبكة الألوكة، 1438 /2017، ص: 11.

[2]- أحمد الشريف السنوسي، **مالك ابن أنس ومدرسة المدينة**. الجزائر، دار البصائر، د.ط، 2009، ص: 6.

[3]- عبد الغني الدقر، **مالك ابن أنس**. دمشق، دار العلم، د.ط، 1998، ص: 168.

[4]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص: 307- 308.

[5]- الأحمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره وآراءه وفقهه**. مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت، ص: 432.

المدونة: لم يكتبها مالك بل كتبت بعده، أصلها ما دونه أسد بن فرات، تشمل آراء مالك الفقهية وآراء أصحابه، وهي الأصل الثاني للفقه المالكي[1]. كما توجد كتب أخرى لمالك منها: الواضحة والعتبية والموازنة، ورسالة في القدر وكتاب في النجوم والحساب مدار الزمان ومنازل القمر، ورسالة إلى محمد بن المطرف في الفتوى[2].

2- انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب:

انتشر المذهب المالكي في المغرب انتشارا واسعا، وأخذ أهل المغرب بتعاليم هذا المذهب القائم على الإسلام، وبدأوا يتعلمون مبادئه وأحاديثه وأصبح المذهب السائد في تلك المنطقة. واختلف المؤرخون في أسباب انتشاره، فمنهم من يرجعها إلى ارتباط المذهب المالكي بالسنة النبوية، فالمالكية مرجعها الأول هو الموطأ وهو كتاب حديث، يعتمد على أحاديث الرسول صل الله عليه وسلم[3].

ومنهم من يرجعها إلى شخصية صاحب المذهب بنفسه، لما عرف عنه التمسك بالسنة ومحاربة البدع وتشبه التام بآثار الصحابة والتابعين، وحسن سيرته واستقامة سلوكه، فهذه الصفات هي التي حببته إلى قلوب المغاربة، وأكسبتهم ثقته ولذلك كان طلبة العلم يقطعون إليه آلاف الأميال يسألونه ويأخذون عنه[4]، ومنهم من يرد ذلك إلى ملائمة مذهبه لطبيعة المغاربة، ذلك أن المذهب المالكي كما هو معروف عنه مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، فقهه عملي أكثر من نظري[5].

ويرى ابن خلدون أن العوامل الأساسية في انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب رحلة المغاربة إلى الحجاز للحج والعمرة، وفي هذا الصدد، يقول: "وأما مذهب مالك -رحمه الله- فاختص بمذهبه أهل

---

[1]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص: 433.

[2]- محمد الروكي، **المغرب مالكي لماذا**. المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 2003، ص: 27.

[3]- الجيدي عمر بن عبد الكريم، **محاضرات في الفقه المالكي في المغرب الإسلامي**. ج:1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، د.ط، 1984، ص: 15.

[4]- إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/121م الشرعيات والعقائد**.ج: 2، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، د.ط، 2000، ص: 132.

[5]- عمر الجيدي، "نظرات في تاريخ المذهب المالكي". مجلة الثقافة الإسلامية، ع: 1، 2005، الجزائر، ص ص: 168-169.

المغرب والأندلس، وإن كان يوجد فيه غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار علم شيخهم يومئذ وإمامهم مالك بن أنس، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس، وقلدوه دون غيرهم ممن لت تصل إليهم طريقته"[1].

إلا أن هناك من يرجع أسباب انتشار المذهب الإمام مالك في المغرب إلى نفوذ بعض الحكام، فمثلا المولى إدريس الثاني كان له الأثر الكبير في نشر المذهب في المغرب، حيث جعله مذهبا رسميا للدولة و أصدر أمره لبعض القضاة بذلك و على رأسهم القاضي عامر القيسي. [2].

كذلك عندما تولى المعز بن باديس الحكم سنة 407هـ/1016م، بعد رحيل الفاطميين لبلاد المشرق، حمل أهلها وأهل ما والاها من بلاد المغرب على المذهب المالكي، واستمرت له الغلبة عليها وعلى سائر بلاد المغرب[3]، لكنه رجع لطاعة الفاطميين بعدها بعدما أرسلوا له قبائل بني هلال وبني سليم، ولكن العامة ظلوا على المذهب السني المالكي.

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج: 6، ص: 245.

[2]- محمد الرويكي، المرجع السابق، ص: 9

[3]- محمد تيمور باشا، **المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين**. القاهرة، دار الآفاق العربية، 2001، ص: 67.

المبحث الثاني: انتشار المذهب المالكي ببلاد السودان

1. العوامل الداخلية:

أ- تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية:

كان لأصحاب المذاهب الإسلامية دور وإسهام كبير وواضح في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، خلال القرن 2هـ/8م، ففي هذه الفترة نشطت التجارة التي أسهمت بدورها في نشر الإسلام، وكذلك دور السلطة السياسية في الشمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي وتوفير الأمن على طول الطرق التجارية. واستمر نشاط تجار هذه الفرق الداعية للإسلام خلال القرن 3هـ/9م، ومع نهاية هذا القرن انتهى دور الخوارج الصفرية في السودان الغربي بسقوط دولتهم في سجلماسة سنة 297هـ/909م، كما ضعفت الإباضية بعد سقوط دولتهم في تيهرت سنة 296هـ/908م، وكان هذا بسبب قيام الدولة الفاطمية لشعبه في المغرب[1]. فقد سعت تلك الدولة جاهدة من أجل بسط وسيطرة نفوذها على العالم الإسلامي بشكل عام، فكانت توجد رغبة لدى خلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء الكبرى، وهذا من خلال الحصول على كميات كبيرة من الذهب من أجل تمويل فتوحاتهم وضرب عملتهم، لكن فشلت في ذلك ولم تستطع في بسط نفوذهم، كما فشلت في نشر مذهبها في بلاد المغرب وبالتالي في بلاد السودان الغربي[2].

وشهد القرن 5هـ/11م استمرار لنشاط تجار السنة المالكية في بلاد السودان الغربي مع الغياب التام لتجار الفرق الإسلامية الأخرى، وفي هذا القرن قام المرابطون بدور دعوى في تلك البلاد ونشروا الإسلام على أساس المذهب المالكي، ولذلك حدث انتصار المذهب المالكي في تلك البلاد إذ أصبح مذهب الحكام والمحكومين[3].

---

[1]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي**. القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1432هـ/2011م، ص ص: 101-102.

[2]- حسين سيد عبد الله مراد، "الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي (2-6هـ/8-12م)". معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، 19 أفريل، 2015، ص: 375 .

[3]- محمد أبو محمد إمام، المرجع السابق، ص: 92.

ب- مساعدة المذهب المالكي لطبيعة أهل السودان الغربي:

لقد اختار أهل السودان الغربي مذهب الإمام مالك دون سواه من المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث بزغ مذهب مالك مع بدايات انتشار الإسلام بفضل جهود دعاته من المغاربة وأفراد أهله بالمذهب، كما شكل هذا المذهب عمقا ثقافيا في السودان الغربي مثلما شكل المذهب الحنفي عمقا ثقافيا في الدولة العباسية[1].

ومن أسباب اعتناق أهل السودان الغربي للمذهب المالكي، لأنه أقرب المذاهب الفقهية لمزاج وطبيعة أهل السودان الغربي، ولسهولة المذهب ووضوحه، فهو مذهب يعتمد على القرآن الكريم، ويأخذ بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل، ويوثق الحديث بالقرآن[2]، فتلاءم هذا المذهب مع أهل السودان الغربي، وترك أثر في نفوسهم، لأنه يتفق مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكليف أو تعقيد ، لأن أهل السودان الغربي كأهل المغرب يميلون إلى البساطة ولا يقبلون النظريات المتطرفة والتأويلات البعيدة المتكلفة، كما أن المذهب المالكي خلا من تداخل الآراء فبقى بعيدا عن الشوائب نقيا[3].

كما أن أهل السودان الغربي قد تميزوا بحساسية مفرطة تجاه مسألة السنة، وبسعيهم إلى تتبع آثارها وإلى مقاومة أعدائها من أهل البدع وأهل الأهواء يمكن أن نجد تفسيرا لتفضيلهم لمذهب الإمام مالك. كما أن هناك خاصية أخرى في المذهب المالكي ربما جعلت أهل السودان الغربي يفضلونه، خاصة فيما يتعلق بأصوله فهو يتميز بكثرة الأصول، وأن هذه الأصول بين أيدي المفتي تسمح له باختيار أصلحها وأقربها للعدل، وأكثرها توافقا مع الواقع الإفريقي، فالمذهب المالكي يعرف بكثرة مراعاته للعرق، ولهذا أقبل ملوك وأهالي تلك البلاد على هذا المذهب والتزموا بفقهه في كافة العبادات والمعاملات[4].

---

[1]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 102.

[2]- محمد المختار محمد الماحي، **المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته)**. الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص: 448.

[3]- عمر الجيدي، المرجع السابق، ص ص: 168-169.

[4]- نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ /11م**. تونس، نير الزمان، 2004، ص ص: 64-65.

ج- دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي:

ساعدت الظروف المجتمعة على جعل مذهب الإمام مالك أمرا مقبولا من الجهة السياسية لدى الحكام، ويعد هذا العامل من أهم العوامل التي أدت إلى ترسيخ هذا المذهب في السودان الغربي، وبهذا أصبح المذهب المالكي أحد الركائز والمقومات الأساسية للدول التي قامت في المنطقة بفضل جهود هؤلاء الحكام، فدعوا السلطة الحاكمة للمذهب المالكي ساعد بشكل كبير في جلب وجمع أهالي السودان الغربي على هذا المذهب لهذا عملوا على نشره وفرضوا حماية له خوفا من الفرق الشعبية الأخرى. فانتصر المذهب المالكي في السودان الغربي بفضل ودعم السلطة الحاكمة لهذا المذهب، حيث أن الفقهاء المالكية نولوا جميع المناصب وخطط الدولة مثل خطة القضاء والفتوى والكتابة وغيرها من الخطط الدينية، وكذلك أن جمع الأحكام القضائية صارت على نهج ومبادئ المذهب المالكي، فتمكن من الدخول والاستقرار بين أهل هذه البلاد[1].

2. العوامل الخارجية:

تعد العوامل الخارجية من أهم الأمور التي ساعدت في استقرار المذهب المالكي في السودان الغربي نذكر منها:

أ- ذيوع حديث الإمام مالك إمام دار الهجرة:

وجد في المدينة المنورة العديد من التابعين والذين اتبعوا السيرة النبوية، ومن أمثالهم مالك بن أنس الذي بلغ درجة كبيرة من العلم أهلته لأن يكون أفقه الناس، وأعلمهم بسنة نبيهم صل الله عليه وسلم، فالمعروف عن مالك أنه لا يفتي إلا بما هو واضح ويأخذ الرواية الموثوق بها، وهذه الصفات أهلته ليكون محل ثقة وكذلك مقصد الكثير من طلبة العلم في كل الأقطاب[2]. كما يرجع تعلق أهل السودان الغربي بالمذهب المالكي أن صاحبه سكن المدينة موطن دار الهجرة، ولم يبرحها إلا حاجا[3]، لهذا جذبت المدينة المنورة عددا من أبناء السودان الغربي الذين أقاموا بها مجاورين الحرم المدني الشريف.[4]

---

[1]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان ، المرجع السابق، ص: 105.

[2]- علي جمعة محمد، **المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية**. القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط4، 1433هـ/2012م، ص: 184.

[3]- عبد الرحمان الشرقاوي، **أئمة الفقه التسعة**. القاهرة، دار الشروق، ط1، 1411هـ /1991م، ص78.

[4]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان ، المرجع السابق، ص: 114.

كذلك يرجع الفضل لشخصية صاحب المذهب بنفسه في توطين المذهب في البلاد، لأنه عرف عنه التمسك بالسنة ومحاربة البدع وتشبه التام بآثار الصحابة والتابعين، وحسن سيرته واستقامة سلوكه، فهذه الصفات هي التي حببته إلى قلوب أهل السودان الغربي[1].

جـ- التأثير المغربي:

يعتبر العالم الجغرافي من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي، فتوجه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام وهذا عن طريق الصحراء الكبرى بالرغم من المشقة وأخطار الرحلة، وإذا كان هذا العامل الفضل في نشر الإسلام في تلك البلاد داخله الفضل أيضا في تسرب المذهب المالكي والعمل على نشره[2]، والتأثير المغربي كان موجود منذ القدم في بلاد السودان الغربي، ففي دولة غانا قبل دخولها الإسلام كان يوجد بها عدد كبير من المغاربة الذين تمتعوا بوضع اجتماعي ممتاز، فهم المقربون للملك، بحيث عينهم في مناصب هامة في الإدارة فكان ملك غانة يكن الاحترام والتقدير لهم، فجعل منهم مستشاريه، وعاملين على خزائنه[3].

وبفضل وجود تلك الفئة من المغاربة توطدت وقويت العلاقات والروابط بين سكان غانة والمغاربة الذين توافدوا عليها بشكل كبير من أجل المصالح الاقتصادية والتجارية المشتركة بينهم، واستمر توافدهم على بلاد السودان الغربي بوجه عام وغانة بوجه خاص، تحديدا في فترة سيطرة المرابطين على المغرب الأقصى، إذ استمرت الاتصالات بين الدولتين وهذا من خلال المراسلات بين يوسف بن ناشفين وملك غانة، وأسهمت هذه الاتصالات في استقرار أعداد كبيرة من المغاربة من أهل العلم والفقهاء وقراء القرآن الذين أصبحوا منتشرين في السودان الغربي[4].

---

[1]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص: 931.

[2]- محمد أمين المؤدب، "جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا". ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1999، ص: 588.

[3]- حسبن سيد عبد الله مراد، المرجع السابق، ص: 380.

[4]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص ص: 116-117.

وهكذا كان للفقهاء المالكية والعائلات المغربية دور بارز في استقرار ز دعم المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي، ولم يقتصر الأمر على تأثير مالكية المغاربة فقط بل كان لمالكية المشرق دور كبير أيضا في نشر المذهب المالكي في البلاد، وهذا من خلال رحلات الحج والرحلات العلمية[1].

كما كان لمدينة القيروان فضل كبير في نشر المذهب المالكي في البلاد، حتى ولو أن حضور الفقهاء المالكيين القيروانيين لم يكن مباشرا بصورة واضحة في المنطقة مباشرا إلا أنهم ساهموا في نشر المذهب في المنطقة بالكتب الفقهية المالكية، بالإضافة إلى فقهاء آخرين أخذوا العلم عن بعض الشيوخ المثقفين منهم الإمام سحنون و بن أبي زيد القيرواني[2].

د- رحلة الحج و الرحلات العلمية:

عمل مسلمو السودان الغربي على تنظيم رحلات جماعية من أجل الذهاب إلى الحجاز من أجل أداء فريضة الحج، وزيارة الروضة الشريفة، بالرغم من الصعاب والمعوقات التي كانت تواجههم، وتميزت هذه الرحلات بالإشراف الفعلي لملوك وأمراء الحواضر الإسلامية السودانية عليها والاهتمام بها، وذلك من خلال رعاية شؤون الحجاج ماديا[3]. وهكذا أصبح الخروج للحج في جماعات تضم الملوك والرعايا، فكان المغرب محور التقاء هذه الوفود من حجيج أهل السودان الغربي، حيث كانوا ينظمون إلى وفود الحجاج المغاربة ثم يتجهون في ركب واحد صوب مصر، ويخرجون معهم إلى أرض الحجاز، مما أتاح لهم الفرصة للاحتكاك والتفاعل مع العلماء وأهل العلم والمعرفة[4].

وكثيرا ما ارتبطت رحلة الحج برحلة طلب العلم، حيث أن الرحلتين كان لهم أهمية كبيرة، وكانت هذه الرحلة من المسائل المحمودة في السودان الغربي، باعتبارها عاملا مهما في توثيق الصلات والروابط

[1]- أحمد قارح وأمين راهب، **القيروان ودورها في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي (ق 2-8هـ)**. مذكرة ماستر في التاريخ، إش: زرقوق محمد، جامعة الجيلالي بونعامة، 2016/2015، ص: 76 .

[2]- المرجع نفسه، ص: 80.

[3]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 125.

[4]- شوقي عطا الله الجمل، "الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها ودور المغرب فيها". مجلة المناهل المغربية، المغرب، ع: 7، 1976، ص: 134.

مع أهل المغرب خاصة والمشرق، ومن خلال هذه الرحلة أوجدت دعما للروابط في مختلف العلوم سواء العقلية أو النقلية[1].

فرحلة الحج ساعدت فقهاء السودان الغربي على الاتصال بعلماء المشرق والمغرب والالتقاء بهم، وكما أتاحت لهم الفرصة على الاطلاع على الكتب والمصنفات في شتى ألوان المعارف الإسلامية ودراستها، فكانت القاهرة معبرا مهما لفقهاء السودان الغربي أثناء رحلتهم لتأدية فريضة الحج، فكان لفقهاء المالكية في مصر دورا كبيرا في توطين المذهب في نفوس سكان هذه البلاد، فاستمر السودانيين في زيارة مصر وهم في طريقهم إلى الحجاز، فكانت القاهرة محطة مهمة لأبناء السودان الغربي[2]، إذ توجد بها أماكن ومراكز علمية في القاهرة يتوافدون عليها أبناء السودان الغربي، وهم في طريقهم إلى الحجاز من أجل الحج، وأهم هذه المراكز مدرسة ابن رشيق التي بناها في مدينة الفسطاط القاضي والفقيه المالكي المصري علم الدين بن رشيق سنة 640هـ/1241م، والذي درس فيها المذهب المالكي، فأصبحت هذه المدرسة تدرس هذا المذهب أو لقد تم بناء هذه المدرسة من خلال الأموال التي تبرع بها أبناء السودان الغربي لتكون مركز علاقاتهم خلال القدوم إلى مصر[3].

[1]- الزواوي رشيد،"التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي". مجلة الحضارة الإسلامية، لبنان، ع: 1، 1993، ص: 324.

[2]- المرجع نفسه، ص: 325.

[3]- المقريزي تقي الدين، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**.ج: 2، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1987، ص: 365.

المبحث الثالث: المذهب المالكي في مملكتي غانة ومالي

1- المذهب المالكي بمملكة غانة:

كان انتشار الإسلام بمملكة غانة بفضل التجار والدعاة وكان أكثرهم من المغاربة، والمعروف بأنهم كانوا على المذهب المالكي، وتعتبر قوافل التجار المسلمين من بلاد المغرب إلى السودان الغربي من أهم العوامل التي ساعدت على نشر المذهب المالكي في تلك البلاد، فكان ضمن هذه القوافل الدعاة والفقهاء والعلماء الذين ينشرون الدعوة الإسلامية، فمملكة غانة كانت غنية وثرية ويوجد بها مناجم الذهب، لذلك استقطبت التجار المسلمين من أجل التجارة[1].

وقد كان الحكم القائم في غانة يتحلى بالتسامح الشديد، مما ساعد على انتشار الإسلام والمذهب المالكي بين الأهالي سلميا، حيث أن هناك جماعة من المسلمين تقلدوا مناصب عليا في القصر الملكي[2]، حيث تؤكد الكشوفات الأثرية التي عثر عليها في غانة مثل المساجد التي تقع في طريق القوافل التجارية التي تربط بين سجلماسة وغانة، فكانت هناك عادات وتقاليد في المصلحة لا تتناسب مع المسلمين إلا أن ملكها كان يعفيهم منها، وفي هذا يقول البكري: «...فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له، أما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيق باليدين»[3].كما ساعدت الظروف التي كانت متاحة في غانة على التوافد بكثرة إلى المصلحة، حيث قدم إليها عدد كبير من المسلمين، فاحتوت على اثني عشرة مسجدا يجتمعون فيها، وبها الأئمة والمؤذنون وطلبة العلم، فكان معظم المغاربة الذين تولوا مناصب في المصلحة كالوزراء والمترجمون والكتاب على المذهب المالكي[4].

كما ساهمت دولة المرابطين وبشكل كبير بفضل جهادها في المنطقة في نشر ودعم المذهب المالكي في غانة في أواخر القرن 5هـ/11م، ومن أجل تأكيد الارتباط القائم لهذه المملكة بمذهب السنة

[1]- حسين سيد عبد الله مراد، المرجع السابق، ص: 402.

[2]- محمد أبو محمد إمام، المرجع السابق، ص: 91.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص: 346.

[4]- سحر عنتر محمد ، المرجع السابق، ص ص: 55، 56.

المالكي، أعلن ملك غانة تبعيته للخلافة السنية، كما أنه ادعى النسب العلوي، ليدعم نفوذه وحكمه في بلاده[1].

وصحيح أن بعض هذه المناطق كانت قد عرفت الإسلام من قبل، ذلك الأمر الذي يسر على المرابطين مهمتهم هناك، إذ لم يتعرضوا لأي مقاومة تذكر، وتحولت تلك المنطقة إلى بلاد إسلامية، وفتح بذلك طريق الغرب الإفريقي واسعا أمام الإسلام ليُنشر في إفريقيا، بل إن الفتح الإسلامي لبلاد إفريقيا المدارية أتاح لأهل تلك البلاد فرصة الدخول في ميدان الحضارة الإسلامية، وحتى بعد تلاشي الامتداد المرابطي نجد أن نطاق الإسلام قد اتسع حتى أصبح الديانة الغالبة على أهلها حتى مداخل نطاق الغابات، فكان المسلمون هناك على مذهب مالك، وهو المذهب الغالب في المغرب والأندلس، ومن ذلك العصر فصاعدًا ستصبح بلاد مالي بلادا إسلامية[2].

ولقد أثرت الدعوة السلمية للإسلام في السودان الغربي في غانة منذ بداية القرن 5هـ/11م، وبشكل عميق حيث انتصر الإسلام نهائيا بمذهبه السني المالكي، وأصبح الدين الرسمي لجميع الممالك السودانية ومنها غانة فاعتنق الحكام والمحكومين المذهب المالكي،وهكذا حظي المسلمون بالإيثار في غانة في عهد ملكها، فكان الملك الغاني يقرب المغاربة إليه ويعتمد عليهم في تنظيم أجهزة الدولة وتنظيم العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى، وكذلك كان الملك يستأنس بهم ويخصص لهم امتيازات كبيرة، وكان معظم وزرائه وتراجمته على المذهب المالكي[3].

[1]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 55.

[2]- نور الدين شعباني، "جهود المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا". موقع قصة الإسلام لايت، تاريخ الدخول: 2010/04/21.

[3]- إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص: 53-54.

2- المذهب المالكي بمملكة مالي:

وكما هو الحال مع إسلام ملوك غانة الذين تحدث عنهم البكري، أورد كذلك قصة إسلام أحد ملوك مالي كاملة بقوله: "وملكهم يعرف بالمسلماني وإنما سُمي بذلك لأن بلاده أجدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها...وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة، فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك، فقال له: أيها الملك، لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام...، فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه، وعلمه من الفرايض [كذا] والسنن ما لا يسع جهله...، فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده، وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته مشركون، فوسموا ملوكهم منذ ذاك بالمسلماني"[1].

وربما يكون إسلام هذا الملك قد تم على يد علماء المالكية الذين انتشروا في إفريقيا الغربية بعد قيام الدولة المرابطية، حيث اعتبرت سنة 441هـ/1050م منعطفا تاريخيا تمثل في ظهور المذهب السني المالكي ذي النزعة الصارمة في تطبيق الدين الإسلامي، الذي عم الغرب الإسلامي ككل مع مجيء الحركة المرابطية بالصحراء الصنهاجية، والذي وصلت تعاليمه إلى غرب إفريقيا، وكان يطلق على دعاته اسم "توري" في مقابل الخوارج الذين كانوا يسمون بـ"صغنغو"، والدليل على انتشار المذهب المالكي بالمنطقة، إقرار منسي موسى إبان رحلته لمصر أنه مالكي المذهب، واقتناؤه منها عدة مصادر وبعض الكتب في الفقه المالكي[2].

وبالإضافة إلى جهود حكام تلك الدول التي دعمت وساندت المذهب المالكي في الذيوع والانتشار، حيث اتسعت مساحة مالي في عهد الملك سُنديتا كيتا المعروف أيضا باسم ماري جاطة (627-652هـ/1230-1255م) فزاد شهرتها وكثرة ثرواتها، مما كان سبب في استقطاب الكثير من العلماء والطلبة في مقدمتهم الفقهاء المالكية، وكذلك في عهد منسى موسى (712-737هـ/1312-1337م)، اشتهرت مالي وتعددت ثرواتها ومواردها ومراكزها التجارية وكذلك المراكز الثقافية، حيث قام

[1]- البكري، المصدر السابق، ص: 178.

[2]- الحسين حديدي، "الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا وإشعاع الحياة الفكرية بها في العصر الوسيط وبداية الحديث". مجلة قراءات إفريقية، السنة 14، ع: 35، جانفي 2018م، ص: 25.

ملكها بجلب الفقهاء إلى بلاده، وساندهم مما أدى إلى انتشار المذهب المالكي[1]، ومن بين هؤلاء الفقهاء نذكر عبد الرحمان التميمي وأندغر محمد الكبير[2] وعبد الله البلبالي[3].

وهكذا ساهم ملك هذه المملكة في انتشار المذهب المالكي بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح الكبار ففقهاء المالكية، حيث عرفت مالي في عهده دخول كتب كبار الفقهاء المالكية.فبفضل المساجد والفقهاء والخطباء حيث ساهموا بشكل كبير في نشر المذهب المالكي بين السكان عن طريق الخطب على المتاجر، وكذلك الدروس بعد كل صلاة، فأدى إلى تفقه أبناء هذه المملكة في الكثير من أمور دينهم حيث شاهد هذه الأمور ابن بطوطة خلال زيارته لمالي[4].

كما نجد أن للغة العربية فضل كبير ومساهمة فعالة في نشر المذهب المالكي وذيوعه في مالي، فاللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي، فأصبحت لغة رسمية ولغة التخاطب بين السكان وجعلوها لغة مستخدمة في مختلف مجالات حياتهم، وكذلك الاتصالات بين المغرب والسودان، حيث أن أبرز هذه الاتصالات كانت علمية وثقافية، فرحل عدد كبير من الفقهاء من السودان الغربي إلى المغرب في عهد منسى موسى لطلب العلم[5]، وبسبب تأثير اللغة العربية لدى أهالي السودان الغربي ظهرت حركة ثقافية فكرية علمية إسلامية شملت جميع ميادين العلم وبخاصة علوم اللغة العربية، والآداب والتاريخ ومختلف العلوم الفقهية والإسلامية، وهذا ما نتج عنه ظهور مؤلفات كثيرة في جميع ميادين العلم، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم[6] حيث قال الله تعالى: « **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**»[7].

---

[1]- إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص ص: 43-44.

[2]- **أندغر محمد الكبير**: هو أبو عبد الله أندغر بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والإصلاح، عالم جليل قاضي المسلمين، أخذ عنه أبناء العلم وأصبحوا شيوخ العلم. ينظر: السعدي، المصدر السابق، ص: 28.

[3]- **عبد الله البلبالي**: هو جد السعدي وأول البيضان صل بالناس في المسجد، ثم توجه إلى تنبكت رفقة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسى موسى ثم رجع إلى فاس وخلفه في الإمامة. ينظر البرتلي أبو عبد الله الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**. تح: محمد ابراهيم الكتاتيومحمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1981، ص: 150.

[4]- ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص: 677.

[5]- السعدي ، المصدر السابق، ص: 57.

[6]- أمل بنت صالح بن غصاب الشمراني، "مجاورة بيت الله الحرام وأثرها الحضاري في بلاد السودان الغربي". قراءات افريقية، ع: 16، 2018، ص: 4.

[7]- سورة: يوسف، الآية: 2.

المبحث الرابع: المذهب المالكي في ممالك سنغاي والتكرور وكانم

1- المذهب المالكي بمملكة سنغاي (777-1000هـ/1375-1591م):

انتشر الإسلام في مملكة سنغاي نتيجة العلاقات التجارية التي ربطت الشمال الإفريقي ببلاد السودان الغربي، حيث طرق القوافل التجارية حملت معها أيضا المسلمين الذين يحملون معهم المذهب المالكي، حيث تغير الدور الدعوي من التجار الإباضيين إلى التجار المالكية ومنذ القرن 3هـ/9م، فالتجار والفقهاء كانوا على المذهب المالكي، جاءوا واستقروا في ملكة سنغاي، وانتشر الإسلام فيها، مما أدى إلى إسلام العديد من الحكام والملوك[1]، واستقر الفقهاء والدعاة المالكين بمدينة جاو[2] عاصمة سنغاي، مما دفع وشجع الحاكم الخامس عشر من حكام سنغاي الذي أسلم سنة 400هـ/1009م، وأعطى لنفسه لقب مسلم دام ومعناه في لغتهم أسلم طواعية وبدون إكراه[3].

كما أن هناك شواهد وأدلة أثرية تؤكد على اعتناق أحد ملوك سنغاي الدين الإسلامي، حيث وجد قبر أحد الملوك هذه الدولة، والذي كتب عليه «هنا يرقد الملك أبو عبد الله بن محمد الذي دافع عن دين الله وهو الآن في رعاية الله وحصنه وكان هذا في عام 494هـ/1100م[4]، حيث تؤكد هذه الشواهد على العلاقة القوية التي ربطت بين المرابطين حكام المغرب والأندلس مع ملوك سنغاي، وكان ذلك أواخر القرن 5هـ/11م، فمن خلال الدراسة التي أقيمت على هذه الشاهدة، تبين أنها نحتت في مدينة ألمرية الأندلسية في الوقت الذي كان المرابطون يسيطرون فيه على الأندلس، ولذلك يمكن القول أن هناك صلات تمت مع المرابطين وهذا يؤكد على التأثير السني المالكي للمرابطين على مملكة سنغاي، وأن المذهب المالكي هو مذهب هذه المملكة[5].ونتجع سيادة المذهب المالكي في سنغاي إلى تولي الفقهاء المالكية للقضاء والفتاوى، حيث يستمدون الأحكام الشرعية من روح الإسلام ووفق مذهب مالك،

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص: 4.

[2]- **جاو**: هي مدينة تقع على نهر النيجر تبعد حوالي 150كلم إلى الشمال من مدينة كوكيا عاصمة دولة السنغال الأولى، وفي القرن 5هـ/11م أصبحت عاصمة سنغال. ينظر: زبادية عبد القادر، المرجع السابق، ص ص: 25-26.

[3]- السعدي، المصدر السابق، ص: 5.

[4]- عثمان برابيما باري، المرجع السابق، ص: 44.

[5]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 50.

ويرجع الفضل إلى أسكيا محمد الكبير[1] في ارتفاع شأن المذهب المالكي، فأصبحت مدينة تنبكت وجاو وغيرها من المدن، مركزا مهما للفقه المالكي في دولة سنغاي يقصدها الفقهاء وطلبة العلم[2].وازدهر تدريس الفقه المالكي على يد كبير من العلماء والفقهاء، وفي هذا الصدد برزت أسرتان كبيرتان كان لهما الفضل في نشر المذهب المالكي في سنغاي، هما أسرة أقيت وأسرة بغيغ، كما قام الكثير من فقهاء المالكية بالشرح والتعليق على أمهات الكتب في الفقه المالكي، ولانتمائهم لمذهب مالك أثر كبير في تأليف المختصرات والشروح والحواشي والتعليقات على مؤلفات هذا المذهب خاصة مختصر خليل[3]، وحازت هذه المؤلفات الفقهية على إقبال كبير إذ سعى إلى طلبها العلماء وطلبة العلم، مما مكن المذهب المالكي من السيادة، وظهور جيل من الفقهاء والعلماء الذين اهتموا بتدريس هذا والتأليف فيه[4].

2- المذهب المالكي بمملكتي تكرور وكانم:

لعل أقدم إشارة لإسلام تكرور هي ما أخبرنا به ابن حزم الأندلسي حيث يقول: "بلغت في عام إحدى وثلاثين وأربعمائة أنه أسلم أهل سلا وتكرور، وهما أمتان عظيمتان من بلاد السودان، أسلم ملوكهم وعامتهم، ولله تعالى الحمد كثيرا"[5]، ومع النصف الثاني من نفس القرن يؤكد لنا البكري وصول الإسلام إلى هذه الممالك قبل الحملة المرابطية، فكانت مملكة تكرور أول مملكة سودانية تتحول بكاملها إلى الإسلام، وذلك عندما حكمهم ملكها وارديابي بن رابيس (وارجابي)، فكتب يقول: "وأهلها سودان وكانوا على ما سار السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير، والدكور عندهم الصنم، حتى وليهم وارجابي بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرايع الإسلام، وحملهم عليها، وحقق بصايرهم فيها، وتوفي وارجابي سنة اثنين وثلاثين وأربع مائة فأهل التكرور اليوم مسلمون" (432هـ/1040-1041م)، وتبعه في ذلك شعبه، وساهمت المملكة في نشر الإسلام بالمنطقة حتى أنها أعانت المرابطين في بعض حروبهم في

---

[1]- **الأسكيا محمد الكبير**: صعد إلى الحكم و عمره 50 سنة، حكم سنغاي من 899 /934هـ، كان قائد في التنظيم السياسي ميالا إلى الدين والعلم شهد حكمه انتعاشا إسلاميا وعلميا خاصة في التجارة الخارجية. ينظر: محمود كعت، المصدر السابق، ص: 91.

[2]- الأرواني مولى أحمد بابير، **السعادة الأبدية بالتعريف بعلماء تنكت البهية**. تح الهادي مبروك الدالي، بنغازي، دار الكتب الوطنية، د.ط، 2001، ص: 64.

[3]- التنبكتي أحمد بابا،**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**.ج: 2، طرابلس، دار الكتاب، ط2، 2000، ص: 607.

[4]- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 608.

[5]- ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**. ج: 2، تح: إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م، ص: 133.

الصحراء، فقد تحالف رئيس التكرور مع يحي بن عمر اللمتوني ضد جدالة عند مخالفة هذه الأخيرة لعبد الله بن ياسين سنة 488هـ/1057م مما يدل على عمق العلاقة بينها وبين قبيلة لمتونة[1].

لم يعمل يحاول ملكها الجمع بين التعاليم الإسلامية والطقوس والتقاليد الوثنية كما حصل في مناطق أخرى من بلاد السودان، ولعل ذلك راجع لتحمسه لتطبيق الشريعة كما نزلت والعمل بها ونشر الدين في المناطق الأخرى، وهو ما ذكره لنا البكري، أما عن جهوده في نشر الإسلام في مملكة سلا وما نتج عن ذلك، فيقول: "وتسير من مدينة التكرور إلى مدينة سلا وهما مدينتان على شاطئ النيل (نهر السنغال) أيضا وأهلها مسلمون أسلموا على يد وارجابي رحمه الله...وملك سلا يحارب كفارهم وليس بينه وبين أولهم مسيرة يوم واحد"[2].

وكان الإسلام في إمارة تكرور منتشرا على المذهب المالكي، ويرجع ذلك إلى الحيز الجغرافي للإمارة التي يقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال، وهو يقابل مجال صنهاجة اللثام والذي يقع على الضفة الأخرى لهذا النهر خاصة قبيلة جدالة المالكية[3]. ومما لا شك فيه أن الفقهاء والدعاة والتجار كان لهم دور أساسي في تهيئة الأهالي لقبول الإسلام، وكان دائما يوجد الفقهاء إلى جانب الملك في تسير مقاطعته، وهذا لا يمثل حالة خاصة، وإنما ظاهرة عامة وجدت في مختلف الممالك الأخرى[4].

دخل الإسلام في السودان وتوغل داخلها من الغرب والشرق والوسط، كما صل الإسلام أيضا لمملكة كانم، والتي ذكرها ياقوت الحموي بكسر النون "كَانِمْ" من بلاد البربر وفي أقصى المغرب في بلاد السودان، وكانم هو اسم بلد وليس نسبة إلى جنس كما ذكر اليعقوبي وابن خلكان، وذكر العمري أن "كانم تقع بين إفريقية وبرقة، وتمتد جنوبا إلى سمت المغرب الأوسط، ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر دالا –أو زالا– وآخرها بلدة كاكا بينهما ثلاثة شهور". وبذلك يكون موقع كانم إلى الشمال الشرقي من بحيرة تشاد في السودان الأوسط، وامتدت في الشرق حتى بحر الغزال وشملت واداي[5] والمناطق الواقعة إلى

---

[1]– البكري، المصدر السابق، ص: 172.

[2]– المصدر نفسه، ص: 360.

[3]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 52.

[4]– البكري، المصدر السابق،ص: 362.

[5]–**وداي**: اسمها السابق "دار صليح" نسبة لصالح أو صليح مؤسس الحكم العباسي فيها توارث أبناءه الحكم من بعده، و كانت تشمل الطرف الغربي من حوض بحر الغزال ونهيراته المتعددة، وتمتد شمالا وشرقا مكونة حاجزا بين كردفان ودارفور في الشرق، وبلاد كانم في الغرب، وتمتد شمالا حتى السفوح الجنوبية لجبال تبستي، ويقع جزء منها الآن بجمهورية السودان والجزء الآخر في جمهورية تشاد، أما عن سكانها فهم خليط من قبائل مختلفة لكن التنجور هم أول من حكم هذا الإقليم ثم انقسم سكانها إلى مجموعات مختلفة كالمجموعة السودانية كزغاوةوبيجيجا يتكلمون لغات سودانية، وجماعة الأفارقة أهمها كانوري وتيد وهم المعروفين بتبو، وجماعات العرب ويمثلهم أولاد سليمان وعرب الشوا. ينظر: عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص ص: 228–229

إلى الغرب من بحيرة تشاد، والتي عرفت قديما بإقليم برنو وحاليا بجمهورية نيجيريا، ولذلك عرفت في التاريخ بمملكة كانم-برنو[1]، ومثلها مثل باقي الممالك أقامت علاقات طيبة مع الممالك الإسلامية المحيطة بالمنطقة، فهناك صلات ودية قوية علاقات ربطتها بدولة الحفصين، منذ قيامها في مطلع القرن الثالث عشر ميلادي فتوسعت كانم في علاقاتها مع مختلف الدول[2]، انتشر الإسلام بها وبالتالي انتشر المذهب المالكي، حيث يقول القلقشندي: «إن العدل قائم بين أهل كانم وإنهم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك ذو اقتصاد في اللباس...»[3].

وبلغ أهل كانم درجة كبيرة من الاهتمام بالمذهب المالكي، حيث أنهم أقاموا مدرسة خاصة لتدريس هذا المذهب في فسطاط بمصر عرفت باسم مدرسة ابن رشيق، وبنيت المدرسة من طرف أهل كانم، حين يذهبون لأداء فريضة الحج كانوا يمرون على مصر، لذلك بنوا هذه المدرسة من أجل التعلم وكذلك من أجل استخدامها نزلا لوفود الحجيج القادمين من السودان الغربي[4].

والتأثيرات المالكية واضحة بدرجة كبيرة في مملكة كانم نظرا لجهودات العالم المالكي الفقيه محمد بن ماني الذي أسلم على يديه سلطان كانم أوم بن عبد الجليل (أومي جلمي) (479-490هـ/1085-1097م) أول من جعل من الدين الإسلامي دينا رسميا للمملكة، فانتشر الإسلام في المملكة بفضل جهوده ومن بعده واصل تلاميذه أداء الرسالة المقدسة. كما وفدت بعثة تعليمية مالكية إلى بلاد كانمتضم مجموعة من العلماء والفقهاء وحفاظ القرآن الكريم من المغرب وغرب إفريقيا، وقد طافت هذه البعثة بلاد مالي وكانم من أشهر أفرادها الشيخ مخلوف البلبالي ومحمد بن أحمد التازختي[5].

كما يعتبر لحج عاملا مهما في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فمملكة كانم-برنو أصبحت تعد من بين أكبر مراكز العلم والثقافة العربية في السودان الغربي، وقد أنجبت عدة علماء أجلاء تفتخر بهم ومعظمهم تلقوا علومهم من الأزهر الشريف كالعلامة سليمان الباغرمي والشيخ محمد الطاهر بن إبراهيم والشيخ محمد الكانمي[6].

---

[1]- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 219.

[2]- الحسيني إبراهيم صالح الشيخ، "الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية".مؤتمر الإسلام، 24-28 نوفمبر، 1989، ص: 27.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ج: 5، ص 281.

[4]- إبراهيم علي طرخان **إمبراطورية البرنو الإسلامية**.القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص: 73.

[5]- فضل كلود الدكو، **الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم(600-1000هـ/1200-1600م)**.ليبيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1998، ص: 251، 253.

[6]- محمد أبو محمد الإمام، المرجع السابق، ص: 113.

وبهذا نقول أن المذهب المالكي حقق انتشارا واسعا في بلاد السودان الغربي، خاصة في مالي وغانة وسنغاي، حيث كان للدور المغربي الأثر الهام في نقله هذه البلاد، فالمذهب كان مسيطر بالدرجة الأولى في هذه المماليك، وهذا راجع إلى مميزات وخصائص هذا المذهب، وهذا ما دفع بسلاطين وملوك هذه المماليك لاعتناق الإسلام.

وبهذا نقول أن المذهب المالكي هو مذهب لصاحبه الإمام مالك بن أنس الذي يعتبر مذهب التابعين، له مؤلفات كثيرة كالموطأ الذي درسه لتلامذته، فقد انتشر هذا المذهب في بلاد المغرب انتشارا واسعا، حيث اكتسب مكانة هامة لدى سكان بلاد السودان الغربي، وهذا راجع إلى مميزاته وخصائصه التي تميز بها، لأهمها ملائمة هذا المذهب لأهل هذه المنطقة، فهو اقرب المذاهب الفقهية لطبيعتهم، وكذلك سهولة المذهب ووضوحه، فاستطاع الدخول إلى أهم الممالك الموجودة في المنطقة كغانة ومالي وسنغاي، وهذا بفضل جهود بعض الملوك والسلاطين هذه المنطقة اللذين شجعوا على اعتناق الإسلام والعمل على الأخذ بالمذهب المالكي.

الفصل الثاني: فقهاء المالكية السودانيون

المبحث الأول: فقهاء المالكية السودانيين وأدوارهم

- الفقهاء السودانيون
- دورهم في الحياة العلمية والثقافية
- أدوارهم السياسية
- دورهم في الحياة الاجتماعية

المبحث الثاني: الإنتاج العلمي والفكري لفقهاء المالكية

- مجالات التأليف للعلماء السودانيين
- نماذج من مؤلفات الفقهاء السودانيين:
- المكتبات في السودان الغربي

المبحث الثالث: الصلات العلمية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز

- الصلات العلمية بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب
- الصلات العلمية مع مصر
- الصلات العلمية مع بلاد الحجاز

المبحث الأول: فقهاء المالكية السودانيون وأدوارهم

بدخول المذهب المالكي لبلاد السودان الغربي، برزت فئة من الفقهاء والعلماء الذين أسهموا في ازدهار الحركة العلمية في البلاد، إضافة إلى دورهم المهم في شتى المجالات كالاجتماعية والسياسية، فبرز رواد في شتى صنوف المعرفة خصوصا علوم الشريعة، ضف إلى ذلك جهودهم في إنتاج تلاقح فكري بينهم وبين الأمصار الإسلامية الأخرى كبلاد المغرب ومصر وبلاد الحجاز.

1- الفقهاء السودانيون:

الفقيه محمد بن أحمد التازختي (ت: 936هـ/1529م): فقيه عالم محدث درس على يد الفقيه أحمد بن عمر أقيت، ثم ارتحل إلى مدينة تكدة وجالس الإمام المغيلي، وأخذ عنه العلم، وكانت له رحلة إلى مصر وبلاد المشرق بصحبة الفقيه محمود بن عمر أقيت[1]، التقيا من خلالها بالقلقشندي وشيخ الإسلام زكرياء وعبد الحق السنباطي[2]، حيث أخذ عنهم مجموعة من العلوم، فأصبح من المتضلعين في علم الحديث، وأجازه الشيخ ابن بركات النويري في مكة المكرمة[3]، وبعد عودته اشتغل بالتدريس والإفتاء إلى جانب القضاء[4].

الفقيه أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي (ت:942هـ/1536م): المعروف بالحاج أحمد وهو الفقيه أحمد بن عمر بن علي بن أقيت جد أحمد بابا التنبكتي[5]، وهو أكبر الإخوة الثلاث المشهورين من عائلة أقيت عرف بالحاج أحمد، كان من أهل الخير والفضل والدين حافظ على السنة، وتضلع في الفقه والعلم، قال فيه أحمد بابا التنبكتي: "كان فقيها نحويا لغويا عروضيا محصلا بارعا

---

[1]- التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. مجك 2، تح : علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004 ، ص: 587. عبد الرحمن ميغا محمد، **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 الهجري**. المملكة المغربية، لمطبع البيضاوي، د.ط، 2011، ص: 283.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص: 40.

[3]- أحمد السيد باز، **الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغاي (638-999هـ/1240-1591م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1994/1993م، ص: 117.

[4]- الشيخي حسن علي إبراهيم، **تأثير الإسلام و ثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر ميلادي**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2009/2008م، ص: 335.

[5]- السعدي، المصدر السابق، ص: 37.

حافظا...جمع كثير من الفوائد والتأليف"، كانت له رحلة حج سنة 890هـ/1485م لقي فيها جلال الدين السيوطي[1]، درس بكانو سنة 893هـ/1487م ثم رجع للسودان الغربي أين جلس للتدريس بجامع سنكري وبقي في التدريس والتأليف لغاية وفاته[2].

الشيخ الفقيه أبو المحاسن محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت:955هـ/1448م): هو نجل الفقيه عمر بن محمد أقيت ولد سنة 868هـ/1462م[3]، فقيه عالم اشتغل بالقضاء، وصفه التنبكتي بقوله: "أبو الثناء وأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها وقاضيها وكان من خيار عباد الله الصالحين[4]، من أجل أعلام العلماء في بلاد السودان الغربي، سافر لأداء فريضة الحج عام 915هـ/1509م أين التقى بمجموعة من الشيوخ كالشيخ زكرياء بن محمد الأنصاري (ت:926هـ) وشمس الدين اللقاني (ت:958هـ) وغيرهما، ثم رجع إلى بلده فجلس لتدريس والإفتاء مدة خمسين سنة أين ركز على تدريس كتب الفقه المالكي، وتولى القضاء في تُنبكتُ من عام 904هـ لغاية وفاته سنة 955هـ[5].

الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (ت:991هـ/1584م): هو كما وصفه البرتلي فقيه عالم ذو رأي ومحدث أصولي بياني رقيق القلب، عظيم الجاه، وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس، حيث كان محبا في أهل الخير متواضعا لهم، وجماعا للكتب[6]، درس بجامع سنكُري صحيحي البخاري ومسلم، وله إنتاج علمي غزير مكتوب بخط يده، كتعليقاته على صغرى السنوسية في العقيدة، وشرح على منظومة القرطبي في الفقه، وشرح تخميسات الفازازي، وقصائد شعرية في مدح الرسول، وشرح على منظومة المغيلي في المنطق سماه "مناخ الأحباب من منح الوهاب" وغيرها من الكتب[7].

---

[1]- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ج: 1، ص: 142.

[2]- علي يعقوب، "العائلات العلمية في السودان الغربي دراسة وصفية: عائلة أقيت نموذجا". مجلة قراءات إفريقية، ع: 44، السنة 16، أفريل 2020، ص: 13.

[3]- السعدي، المصدر السابق، ص: 37.

[4]- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ج: 1، ص: 607.

[5]- علي يعقوب، المرجع السابق، ص ص: 11-12.

[6]- البرتلي، المصدر السابق، ص: 29.

[7]- علي يعقوب، المرجع السابق، ص: 10،

الفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري (ت: **1002هـ/1593م**): عالم متفنن ورع صالح من خيار عباد الله الصالحين، قال عنه التنبكتي: "كان طويل الروح في التعليم لا يأنف من مبتدأ ولا من بليد أفنى عمره مع تثبته بحوائج العامة وأمور القضاء، وقد أدركته أنا يقرأ من صلاة الفجر إلى الضحى ثم يقوم إلى بيته، حيث يقرأ وقت الزوال ثم يصلي الظهر بالناس ويدرس إلى العصر ثم يصليها ويذهب إلى موضع آخر يدرس فيه إلى الاصفرار وإذا صلى المغرب درس في الجامع إلى العشاء ثم رجع إلى بيته وكان مع ذلك محققا داركا ذكيا فطنا غواصا على اللطائف"[1].

القاضي محمود كعت (ت: **1002هـ/1593م**): هو محمود بن الحاج المتوكل بن محمود كعت، ولد سنة 876هـ/1463م، من العلماء المخضرمين الذين عاصروا فترة حكم سني علي وحكم الأسكيا محمد[2]، درس علوم الفقه والحديث، واشتغل بالتدريس إلى جانب القضاء، تتلمذ على يديه خلق كثير منهم أحمد بابا التنبكتي الذي قال عنه: "كان شيخ زمانه في العلوم والفنون لا نظير له"[3].

الفقيه أحمد بابا التنبكتي (ت:**1036هـ/1626م**): عالم من علماء الأفذاذ الذين ذاعت شهرتهم في العالم الإسلامي، اجتهد في بداية حياته في خدمة العلم فحفظ القرآن الكريم حتى فاق معاصريه، قال عنه البرتلي: "لما فتح الله بملاقاة عالم الدنيا ومعلمها حامل لواء الأحاديث ومفهمها رافع راية مذهب الإمام مالك ومقدمها، العالم المقبول الفاضل الفهامة سيدي وبغيتي ... أبا العباس سيدي أحمد بابا جعل الله أيامه للخير أسبابا وفتح به إلى العلوم أبوابا، تلقيت منه ما فتح الله لي بالقبول ألفيته علقة للوصول، فلا زمت بابه المبارك ليالي وأياما وشهورا وأعواما، وتضلعت من مزمزمه بما فيه مقنع، وكنت معه كالذي يأكل ولا يشبع، فقرأت عليه رحمة الله تعالى القرآن الكريم بتفسير الجلالين المحلي والسيوطي في عامين مرتين قراءة وتحقيق وتفهم وتدقيق وعدة من تواليف رحمه الله إلى غيرهما حصلت من

---

[1]- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ج: 1، ص: 378.

[2]- عبد القادر زيادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين** . الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص: 123.

[3]- مطر سعد غيث أحمد، المرجع السابق، ص: 89.

أجوبته وتقييده ومضافته وأبحاثه وفوائده"[1]. وعندما تعرضت سنغاي للغزو السعدي على عهد أحمد منصور الذهبي اكتوى أحمد بابا مع غيره، ورُحل إلى مراكش كأسير لينفك قيده فيما بعد، ويبقى في مراكش يزاول مهنة التدريس، وظل على هذا الحال يدرس ويفتي إلى أن أذن له السلطان السعدي بالعودة لبلده عام 1016هـ/1607م، وقضي فيها بقية حياته إلى أن توفي، وخلف وراءه نتاجا علميا كبيرا كان فيه رافعا لراية المذهب المالكي بالسودان الغربي وناصرا له[2]، والتنبكتي من أكثر علماء السودان تأليفا في جل المجالات، وخاصة في مجال الفقه والتاريخ، وتبلغ مؤلفاته الفقهية عشرين مؤلفا ما بين كتاب وحاشية ورسالة وتعليق، وفي مجال التراجم له مؤلفان مشهوران هما كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ونيل الابتهاج في تطريز الديباج[3].

الفقيه مورمغ كنكنكي: عالم فقيه زاهد جليل القدر امتهن التدريس، فكان يلقى الدروس في الجامع، وكان يخرج من بيته في منتصف الليل حتى صلاة الصبح ثم يستمر في إلقاء الدروس حتى الزوال، ثم يعود إلى بيته لأخذ قسط من الراحة، ثم يعود إلى حلقة التدريس بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر[4].

الفقيه محمد الكابري (توفي خلال القرن 10هـ/16م): هو الفقيه العالم أبو عبد الله القاضي محمد الكابري[5]، من فقهاء تنبكت سكنها في القرن التاسع الهجري، عاصر مجموعة من العلماء، وأخذ عنه العلم الكثير من الطلاب، فقد تولى التدريس بجانب الإفتاء[6].

---

[1]- البرتلي، المصدر السابق، ص: 65.

[2]- عبد القادر زيادية، المرجع السابق، ص: 127، 129.

[3]- علي يعقوب، المرجع السابق، ص: 12.

[4]- مهدي رزق الله أحمد، **حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا**. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1998، ص 373.

[5]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 603.

[6]- السعدي، المصدر السابق، ص 47.

2- دورهم في الحياة العلمية والثقافية:

لاشك بأن التعليم هو أساس كل نهضة ثقافية وعلمية، فهو الأداة الرئيسية للتوجيه الفكري، والإعداد التربوي، إذ به يتم ترسيخ المبادئ والأفكار في نفوس الناشئة وصقل سلوكات الأفراد، لهذا عمل الفقهاء على ازدهار الحركة العلمية في بلاد السودان الغربي، ونلمس هذا الدور البارز بشكل واضح من خلال ما يأتي:

أ- الجلوس للتعليم: اشتغل فقهاء المالكية بالتعليم من أجل إعداد العلماء والمعلمين والأئمة والخطباء، الذين يبثون في المسائل والقضايا الفقهية، ويقومون بالتوعية الدينية بين أفراد المجتمع[1]، وكانت طرق ووسائل التعليم عندهم تعتمد على الأساليب الآتية:

السماع أو الإلقاء:

وذلك بأن يتخذ العالم موضعا ما، وغالبا ما يكون في المسجد، وأمامه الطلبة فيلقى عليهم الدروس، فيسمعون منه ويقومون بتقييد ما يرونه مناسبا للكتابة، ومن العلماء الذين برزوا في هذا المجال الفقيه الحاج أحمد أقيت الذي اشتهر بالمداومة على تدريس مدونة الإمام سحنون[2]، ويبدو أن هذه الطريقة كانت هي الطريقة الأساسية الرائجة في ذلك العصر، وبواسطتها تم انتقال العلوم بين طبقات فقهاء المالكية.

قراءة الكتب:

حرص فقهاء المالكية السودانيون على نسخ الكتب، وجلبها أثناء رحلاتهم إلى مختلف الأقطار الإسلامية، تم عرضها واستظهارها بعد عودتهم، ومن الكتب التي كانت متداولة "موطأ الإمام مالك" ومدونة الإمام سحنون"[3]. كما اشتهر بعضهم بالتأليف وجمع الكتب و قراءتها على الطلبة، ومن أبرزهم أحمد بابا التنبكتي الذي ساهم في إثراء المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والرسائل العلمية، وهي

---

[1]- عبد الرحمن عثمان حجازي، **المذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي**. بيروت، المكتبة العصرية، ط2، 1995، ص: 210.

[2]- مطر سعد غيث أحمد، المرجع السابق، ص: 243.

[3]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 244.

تدل على سعة مداركه وتحصيله العلمي ومعرفته بكتب التراجم والتاريخ والفقه، ونذكر منها على سبيل المثال: كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي ترجم فيه لعدد هائل من أعلام المالكية[1].

الحفظ:

لقد اهتم الفقهاء والعلماء بالحفظ كوسيلة تعليمية خاصة في المراحل الابتدائية أو الإعدادية وهذا أمر طبيعي، لأنه أداة رئيسية لتثبيت الأسس التي عليها مدار التعليم حتى في المراحل المتقدمة من التعليم، ومما يؤكد ذلك هو اشتهار العديد منهم بقوة الحفظ، ومن أشهرهم في هذا المجال الإمام محمد المنقوري الذي كان يحفظ كثيرا من الكتب والتي عليها مدار الإفتاء في المذهب المالكي[2].

المناظرة:

تعد المناظرة من أشهر الأساليب التعليمية في العصر الوسيط، والتي عرفت أيضا باسم المذاكرة والجدال والنقاش، وهي أهم أساليب التدريس والتلقين، وذلك لما لها من دور في ترسيخ المعلومات وتمحيص الآراء المؤيدة والمعارضة، للوصول إلى أصوب الآراء وأرجحها، وهي من أهم الوسائل التي أنتجها أهل الفرق والمذاهب للتعبير عن مبادئهم وأرائهم، وكان الفقهاء يناظرون حسب تخصصهم ومستوياتهم لذا فلا عجب أن فقهاء المالكية الذين آخذوا على عاتقهم مقاومة كل الفرق المخالفة للمذهب السني، كانوا من ذوي القدرة على المناظرة، ومن بين المؤلفات التي ذكرت في هذا المجال تلك المناظرة التي حدثت بين الإمام المغيلي والقاضي محمود بن عمر أقيت، والتي سميت بـ"الجواب المحمود عن أسئلة القاضي محمود وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير"، حيث أجاب فيها المغيلي عن أسئلة السلطان الأسكيا محمد الكبير[3].

---

[1]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 259.

[2]- محمد بلو بن عثمان فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلد التكرور**. تح :بهيجة الشاذلي، الرباط، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، ط1، 1996م، ص: 52. .

[3]- السعدي، المصدر السابق، ص: 41.

الرحلة العلمية:

ظهرت الرحلة في طلب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي بما في ذلك السودان الغربي، نتيجة عوامل عدة، ولعل من أبرزها وحدة العالم الإسلامي، مما أتاح لطلبة العلم فرصة الانتقال بحرية وبدون عوائق أو حواجز بين مختلف أنحاءه، بهدف تلقي الطالب العلم عن الشيخ مباشرة حتى يتم الوثوق بقوله وتصح روايته[1]، وقد كان الحج من أهم الروابط التي كان لها عميق الأثر في نشر المذهب المالكي، فاعتبرت الرحلة قيمة جدا لأنها جاءت بحصيلة علمية مكنت علماء السودان من التأليف والنشر، فأسهموا في الحركة الفكرية في بلاد السودان الغربي، كالفقيه محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس[2]، لذا يمكن القول أن رحلات فقهاء المالكية شكلت رافدا هاما لتطور مدرستهم بشكل خاص، وازدهار الحياة العلمية بالسودان الغربي عموما.

ب- فرض الرقابة على حركة التعليم:

لقد حرص فقهاء المالكية بالسودان الغربي على أن يكون المعلمون القائمون على تدريس الأطفال سواء في المراحل الأولى من التعليم أو بعده على المذهب السني، لذا منعوا أصحاب الفرق الأخرى من مزاولة التعليم والتدريس حفاظا منهم على المذهب المالكي[3]، ولعل هذا ما مكنهم من غرس مبادئ مذهبهم في قلوب النشء، ومكنهم بشكل تدريجي من تكوين قاعدة اجتماعية صلبة لمذهبهم، نظرا لكون مبادئ العلوم الأولية التي يتلقاها الصبي وطريقة فهمه للدين التي ينشأ عليها من الصعوبة بمكان أن يتخلص منها في الكبر، بل وتظل مصاحبة له وتوجهه وهو يخوض معترك الحياة، لذا

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص: 44.

[2]- مسعود عمر محمد، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين**. د.م.ن، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003، ص: 158.

[3]- الهادي الدالي مبروك وعمار هلال، **الإسلام في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا (1850-1914م)**. بيروت، دار حنين للطباعة والنشر، 1996، ص: 71.

قيل: بأن "التعلم في الصغر كالنقش على الحجر"، هذا علاوة على أن ذلك يسهم في تمتين الوحدة الفكرية للمجتمع[1].

3- أدوارهم السياسية:

كان لفقهاء المالكية في السودان الغربي تأثير كبير في الحياة السياسية، وذلك عن طريق إدخال نظم جديدة عليها وفق التعاليم الإسلامية، إضافة إلى تقلدهم مناصب الحكم والتي استطاعوا من خلالها القيام بالإصلاحات وتغيير موقف الحكام، والدليل على ذلك نظام الحكم الذي كان استبدادي لكن مع الإصلاحات التي قام بها الفقهاء تغير موقف الحكام[2].

وبرزت عائلا علمية كان لها اهتمام بالحياة السياسية نذكر منها عائلة أقيت في مملكة سنغاي، التي أصبح لها نفوذ كبير، فكانت لها مواقف تبرهن على تأثيرها في السلطة، ونجد أن الحكام خضعوا لعلمائها واستجابوا من أجل دعم مشروعهم السياسي والديني، وقلدوهم مناصب رفيعة، وخاصة في عهد أسكيا الحاج محمد الذي كان يقدر العلماء ويحسن إليهم، ويأخذ برأيهم، ومن أمثلة ذلك عندما طلب الإمام لمغيلي من الأسكيا محمد القبض على أفراد الجالية اليهودية في دولة سنغاي، لتورط اليهود في مقتل ابنه في توات أثناء غيابه في رحلته إلى السودان الغربي، وكاد الأسكيا أن يلبي طلبه لولا استشارته للقاضي محمود بن عمر أقيت، الذي تدخل واحتج على ذلك، وأمر الأسكيا محمد بإطلاق سراح الجالية اليهودية، مما كان سببا غضب المغيلي ومغادرته غاو إلى توات[3].

وكان الأسكيا يستشيرهم في مسائل السلم والحرب، كما كانوا رسله في معظم الأحوال، وبخاصة العلماء وصارت هذه السياسة قاعدة لمن أتى بعده من الأساكي في تقدير العلماء واحترامهم والنزول عند آراءهم، كما كان لعلماء أقيت دور في الحفاظ على الدولة من الاضطرابات والفتن الداخلية، خاصة

---

[1]- الشنقيطي أحمد الأمين، **آداب البحث والمناظرة**. تح :سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي، السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، د.ط، 2018، ص: 159.

[2]- إبراهيم علي طرخان، **إمبراطورية غانة الإسلامية**. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، د.ط، 1970، ص: 57.

[3]- علي يعقوب، المرجع السابق، ص: 14.

في الفترة التي أعقبت عزل أسكيا محمد واستيلاء ابنه موسى على الحكم في عام 935هـ/1528م[1]، فقد منعوا الأسكيا الجديد من التنكيل بإخوانه ومعارضيه درء للمشاكل، وسعى الفقيه محمود بن عمر أقيت للصلح بينه وبين إخوته، فطلب منه القاضي محمود العفو عن إخوته، وأن يتجنب الفتنة بينه وبينهم لما فيه من قطع الرحم والفساد في الأرض[2].

وإضافة لاهتمام العلماء وعنايتهم بالنظام الإداري والقضائي، فقد كانت الإدارة مع مجيء الإسلام والمذهب المالكي لبلاد السودان منظمة تنظيما محكما، وكانت تسير شؤونها على أحسن الأحوال، وهذا دليل على الأثر الواضح للمذهب المالكي في الإدارة، أما بالنسبة للقضاء فقد كان دقيقا، لذلك عمل الحكام على توليه القضاء للفقهاء المشهود لهم بالقدم الراسخ في العلم والتمرس في الأحكام مع التقوى والتزكية، وذلك لإصلاح حال الرعية[3]، وقد كان يتم تعيين القضاة وفق مراسيم خاصة في المسجد بعد صلاة من صلوات الخمس، وذلك بحضور السلطان في يوم مشهود، حيث يأتي الفقيه الذي يريد أن ينصب قاضي فيحلف إمام الحاكم بالله أو باسم من أسمائه الحسنى أنه سيلزم في أحكامه بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم[4]، ومن أشهر الفقهاء الذين عينوا في مجال القضاء نذكر القاضي محمد الكابري كان عالما فقيها ووليا صالحا[5].

وجدت عائلات توارثت منصب القضاء نظرا لعلو كعب أبناءها في العلم والفتوى، ومن بين هذه البيوت العلمية عائلة أقيت التنبكتية التي توارث علماءها هذا منصب القضاء مدة طويلة ولم يتحول عنهم لغاية سنة 1002هـ/1593م وهو عام نكبتهم على يد القائد محمود بن زرقون إثر الغزو السعدي لتنبكت. ولقد اهتم الأساكي بهذا المنصب لذا نجد الأسكيا محمد هو أول من قام بذلك فقد

---

[1]- سحر عنتر محمد مرجان، المرجع السابق، ص: 151.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص: 82.

[3]- مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق، ص: 190، 213.

[4]- ميقا أبو بكر إسماعيل، "الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في بلاد السودان الغربي". مجلة الإمام محمد ابن مسعود، السعودية، دار المنظومة الإسلامية، ع: 11، د.ت.ن، ص: 278

[5]- إيهاب شعبان عبد الشافي، **القضاء في دولتي مملكة مالي وصنعاي وأثره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/1238-1591م)**. القاهرة، الإفريقية الدولية للنشر والطبع والتوزيع، ط1، 2014، ص: 47

قام بإصلاحات فيه بعد عودته من الحج سنة 902هـ/1496م، إذ نصب في كل من مدينتي جني وتنبكت وفي كل مدينة تستحق القضاء قاضيا، ويتمتع قاضي قضاة تنبكت بمكانة عالية نظرا لمكانة المدينة الثقافية والتجارية فكانت له مهمة تولية القضاة في بقية أقاليم المملكة، وكان للقضاة في السودان الغربي صلاحيات واسعة، استمدوها من مكانتهم الدينية، ومن المكانة التي حظوا بها عند الحكام، خاصة في عهد الأساكي في دولة سنغاي، والتي عرف عنها احترام شخصية القاضي واعتبار أحكامه نافذة على الجميع الحاكم قبل المحكوم، وهو ما دفع بعض المؤرخين إلى عقد مقارنة بين مركز الحاكم والقاضي الديني والدنيوي، بل قرروا أن سلطة القاضي تفوق في بعض الأحيان سلطة الحاكم نفسه، فكان الحكام لا يبرمون أمرا إلا بمشورة القاضي والأخذ برأيه، مما انعكس ايجابا على الوضع الأمني فقد استتب الأمن والاستقرار في البلاد طيلة حكم الأساكي؛ بسبب اختيارهم قضاة من العلماء وخاصة من أسرة أقيت العلمية[1]، لهذا كان للفقهاء دور سياسي بارا في ظهور نظم جديدة في الحكم، إضافة إلى النظام الإداري إذ تقلد العلماء مختلف المناصب الإدارية كما تلقوا احترام وتقدير الحكام.

[1]- علي يعقوب، المرجع السابق، ص: 13.

4- دورهم في الحياة الاجتماعية:

إن المكانة التي حظي بها فقهاء المالكية في المجتمع السوداني، وما تبوءوه من خطط ومناصب، والوضع المادي الذي كانوا عليه، واضطلاعهم بالعديد من الوظائف والمهن، مكنتهم من القيام بأدوار اجتماعية هامة ومتميزة في مجالات عدة، ومن أبز الميادين التي كان لفقهاء المالكية دور بارز فيها ما يأتي:

* مساعدة الفقراء والمحتاجين، والإسهام في تحرير في تحرير الأرقاء حيث عمل الفقهاء على مساعدة المعوزين من خلال التصدق ومنح القروض إذ عرف الفقهاء بالجود والكرم والتصدق بالأموال الوفيرة على الفقراء، كما أسهموا في تحرير العبيد تماشيا مع تعاليم الدين الداعية إلى تحرير الأرقاء[1]، فنجد مثلا علماء أسرة أقيت كانوا ملجأ العامة من بطش الحكام، فكانوا يفرون إلى دار القاضي أو الإمام إذا تعرضوا لخطر، وكانوا يحثون الحكام على الاهتمام بالفقراء والمساكين وتقديم المساعدات لهم، وخير دليل على ذلك أن القاضي العاقب بن محمود كان يأخذ من أسكيا داود كل عام أربعة آلاف صينية ليقسمها على فقراء المدينة والمساكين[2].

* الحفاظ على الأسرة وتنظيمها: يعد الزواج أساس الحياة الأسرية والعائلية، لذلك كان فقهاء المالكية يشجعون عليه، علاوة على أنهم عظموا المرأة وجعلوا لها مكانة خاصة لأنها أساس تكوين وبناء الأسرة، فحرصوا على أن يتم الزواج وفق الشروط الشرعية دون الإخلال بأي ركن من أركانه الأساسية[3].

* محاربة الآفات الاجتماعية ورد المظالم: من طبيعة المجتمع الإنساني ديمومة التغبير، فهو لا يثبت على حال وأهم ما يتغير فيه أحوال الناس الذين يتأثرون مما يطرأ عليهم من ظروف سواء كانت مادية أو معنوية، لذا فإن التشريع الإسلامي وضع جملة من القواعد التي تضمن التقدم المستمر للمجتمع الإنساني

---

[1]- زمان عبيدو ناس، **تمبكتو وآثارها في العصور الإسلامية المتأخرة**. عمان، دار الأيام، د.ط، 2016، ص:163.

[2]- علي يعقوب، المرجع السابق، ص: 15.

[3]- إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص: 59.

في مختلف البيئات والظروف ومن هذه القواعد قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، وقد ورد أصل هذه القاعدة بكل وضوح في القرآن الكريم والسنة النبوية، لقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[2]، ولهذا أخذ فقهاء المالكية بهذه القاعدة وانطلقوا في محاربة مختلف مظاهر الفساد، وشتى أشكال الانحلال الأخلاقي سواء أكانت مبادرة عن الحكام أو المحكومين، ويبدو أن ذلك يعود لأهمية دور الأمراء والحكام في الحد من الفساد أو نشره وعظم مسؤوليتهم في ذلك[3]، فقد بذل علماء أسرة أقيت جهودا كبيرة من أجل الإصلاح الاجتماعي، والمحافظة على قيم المجتمع المسلم ومبادئه، ومحاربة الفساد والمفسدين، كما ساهموا في المحافظة على الآداب العامة في الطرقات والمناسبات، وهكذا كان لهم دور كبير في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية في السودان الغربي[4].

مما تقدم ذكره يمكن القول أن الفقهاء المالكية اجتمعت لديهم مؤهلات وعوامل موضوعية، وفي مقدمتها تلك المناصب التي تولوها وما حازوه من أموال مكنتهم من تبوأ مكانة متميزة في المجتمع السوداني، الأمر الذي ألقى بظلاله بشكل مباشر على قوة تأثيرهم الاجتماعي، حيث تمكنوا بفضل ذلك من القيام بأدوار هامة تركت أثارا إيجابية في المجتمع السوداني، فقد أسهموا في تمتين العلاقات الأسرية والعائلية وضبطها وأيضا تقنين الحياة العامة بما يتماشى مع تعاليم الإسلام، وجعلها أكثر استقرارا وذلك من خلال محاربة شتى الآفات الاجتماعية، والإسهام في انتعاش الحياة الاقتصادية بمعالجة الأحكام

---

[1]-الأحمر أسماء أحمد، **الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية (869-1000هـ/1464-1591م)**. بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1، 2008، ص: 112.

[2]- سورة التوبة، الآية: 71.

[3]- الأرواني مولى أحمد بابير، **السعادة الأبدية بالتعريف بعلماء تنبكت البهية**. تح: الهادي مبروك الدالي، بنغازي، دار الكتب الوطنية، د.ط، 2001، ص: 64.

[4]- علي يعقوب، المرجع السابق، ص: 15.

المتعلقة بها ومحاربة كل ما يؤثر عنها سلبا كالعاملات التجارية التي تضر بمصالح الناس كالربا والغش، وهذا مما يعود بالرخاء على أفراد المجتمع، ويسهم في تحقيق الاستقرار[1].

ويبدو بأنهم حققوا نتائج هامة بمراعاتهم لأعراف وعادات أهل المنطقة خلال استصدارهم للأحكام الفقهية حيث وقفوا في كثير من المسائل والقضايا بين الأعراف السائدة بالسودان والأحكام النظرية الفقهية، إلا أنه يبدو أن تأثيرهم على الحياة الاجتماعية تركزت بشكل كبير بالمدن، وذلك يعود لكثافة وجودهم بها، ولعل من العوامل الأساسية أيضا التي مكنتهم من التأثير بقوة في كل هذه المجالات هو تبوئهم لبعض المناصب ولاسيما القضاء، وكياستهم في طبيعة الشروط التي ألزموا الحكام بقبولها مقابل توليهم لها، والتي مكنتهم من مزاولة مهماتهم بحرية، ولا ريب أن الجهود التي قاموا بها سوف تسهم في ارتقاء المجتمع السوداني ونهوضه في مختلف نواحي الحياة[2].

[1]- أحمد جعفري، "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب: قراءة في المصادر العربية والإفريقية ما بين القرنيين 14 و17 الميلاديين". مجلة آفاق علمية، مج: 12، ع: 1، 30 أفريل 2020، ص: 222.

[2]- أحمد جعفري، المرجع السابق، ص: 224.

المبحث الثاني: الإنتاج العلمي والفكري لفقهاء المالكية

بدخول الإسلام لبلاد السودان الغربي انتشرت اللغة العربية والثقافية الإسلامية، مما أدى إلى بروز فئة من المثقفين أسهموا في ازدهار الحركة العلمية في هذه البلاد، وذلك من خلال المؤلفات والكتابات في شتى صنوف المعرفة كعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وعلوم اللغة وآدابها وغيرها من العلوم.

1- مجالات التأليف للعلماء السودانيين

أ- الفقه وعلم الحديث:

الفقه:

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، ويشمل ذلك الوجوب والجواز والندب والكراهة والإباحة وهذه الأحكام منتقاة من القرآن الكريم المصدر الأول لتشريع والسنة النبوية وما نصبه الشارع الحكيم لمعرفة الأدلة فإذا استنبطت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه[1].

ولقد عرفت الحركة الفقهية تطورا كبيرا في مختلف البلاد الإسلامية، وخاصة بلاد السودان الغربي التي تأثرت بهذه المذاهب وبخاصة المذهب المالكي، حيث أصبح المذهب المتعارف عليه والمأخوذ به في مختلف العادات والعبادات، فانتشر كتبه المعروفة آنذاك كمدونة سحنون، ومختصر خليل وموطأ الإمام مالك، ومدخل ابن الحاج وتحفة الحكام لابن عاصم. ويرجع ازدهار الحركة الفقهية في بلاد السودان الغربي إلى رحلة حج منسا موسى عام 724هـ/1321م، والتي زار من خلالها عددا كبيرا من الفقهاء المالكية في مصر، وجلب معه العديد من الكتب التي تهتم بالفقه المالكي، إضافة للبعثات العلمية التي كان يرسلها لتلقي العلم في كل من فاس ومصر مثل رحلة عبد الرحمن التميمي إلى فاس[2]، ورحلة كاتب موسى كذلك، ويعتبر هذان الفقهاء من أبرز الفقهاء المالكية في زمن دولة مالي رغم أن المصادر

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 563.

[2]- مقادم عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص: 139-140.

لم تدون شيء عن إنتاجهم الفقهي إلا أنها ذكرت حضورهم القوي في مجالس التدريس والإمامة والإفتاء على الفقه المالكي[1].

كذلك نجد بعض المصادر التي ذكرت أهم العلماء الذين ساهموا في إثراء الحركة الفقهية سواء بتدريس أمهات المصادر الفقهية المالكية أو بإنتاجهم الفقهي سواء كشروح لهذه المصادر أو الحواشي أو المؤلفات خاصة دولة سنغاي[2]، ومن أمثلة ذلك نجد ما تركه الفقيه العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي من مؤلفات فقهية أثناء زيارته لبلاد السودان الغربي ومنها: مصباح الأرواح في أصول الفلاح وهو في كراسين وحاشية على مختصر خليل سماها إكليل مغنى اللبيب، وفي البيوع ألف كتابين سماهما مفتاح الكنوز، وتلخيص المفتاح لمختصر سعيد وشرحه[3].

ومن العلماء الذين أخذوا عن الإمام المغيلي الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمي الذي كان فقيها عالما له تعاليق، أهمها تعليقه على قول خليل، والجواب المحمود عن أسئلة القاضي محمود الذي أجاب فيها عن أسئلة فقيه وجهها له قاضي تنبكت محمود بن عمر أقيت، وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير أجاب فيها عن أسئلة السلطان الأسكيا محمد الكبير[4].

أما الفقيه محمد بن أحمد التاذختي ألف شرحا لمختصر خليل، الذي كان فقيه الحاج أحمد أقيت، وكان من الفقهاء المتضلعين اشتهر بمداومته على قراءة الشفاء للقاضي عياض وتدريس مدونة الإمام سحنون وله تعاليق وحواشي على هذه المدونة[5]. كما للفقيه محمود بن عمر أقيت (ت:955هـ/1548م) له تأليف في مختصر خليل من جزئين جادل به علماء مصر أثناء سفره إلى الحج من بينهم العالم إبراهيم المقدسي والقلقشندي، كما كان للعلامة الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (ت:991هـ/1583م) إنتاج علمي

[1]- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ج: 1، ص: 577

[2]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 256.

[3]- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ج: 1، ص: 577.

[4]- السعدي، المصدر السابق، ص: 41.

[5]- مطير سعد غيت، المرجع السابق، ص: 243.

مخطوط بيده حيث تحرك في مجال الفقه حاشية على شرح الثنائي على مختصر خليل بين فيها موضع السهو منه، وجمع الكثير من الشروح والقواعد وكتب بخط يده عدة دواوين[1].

أما الإمام الفقيه محمد المنقوري يعتبر أول من نقل مختصر خليل إلى السودان الغربي، كما أنه تصدر للتدريس والإفتاء، ومن أهم تلامذته القاضيين محمد شب وإبراهيم البرناوي[2]، ومن أبرز العلماء الذين ساهموا في الحركة الفقهية بنصيب وافر في هذه الفترة الفقيه أحمد بابا التنبكتي الذي كان علما من أعلام الفقه المالكي، حيث تؤكد ذلك آثاره العلمية التي تركها في هذا الميدان، فألف مجموعة من الكتب والرسائل والفتاوى والآراء على ضوء الفقه المالكي[3].

علوم الحديث:

يعتبر علم الحديث من أجل العلوم بعد القرآن الكريم، فهو يعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فهو يتضمن أقوال وأفعال سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، حيث اهتم به علماء الأمة الإسلامية اهتماما بليغا، وكانت بلاد السودان الغربي كغيرها من البلاد الإسلامية، التي اهتم علماؤها بهذا العلم ومن العلماء الذين ساهموا في هذا الاتجاه نجد الإمام المغيلي الذي كان له مؤلفات في علوم الحديث سمي مفتاح النظر في علوم الحديث، فلقد ظل هذا المؤلفات لفترة من الزمن من المقررات الدراسية في بلاد السودان الغربي ثم جاء العالم محمد بن أحمد التازختي الذي كان فقيها ومحدثا كانت له رحلات إلى بلاد المشرق الإسلامي أخذ من خلالها علم الحديث حيث سمع وروى وأجيز وأجاز وصار من المحدثين، حيث يقول عنه السعدي "روى وحصل واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين"[4].

ومن العلماء الذين ساهموا أيضا في علوم الحديث شيخ عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري (ت:956هـ/1549م) الذي قام برحلة علمية للمشرق تحصل من خلالها على علم الحديث الذي أجيز فيه وصار من المتضلعين فيه ، ثم جلس للتدريس في السودان الغربي ، فدرس موطأ الأمام مالك والكتب

[1]- المرجع نفسه، ص: 244.

[2]- مقادم أحمد، المرجع السابق، ص: 141.

[3]- مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص: 244.

[4]- السعدي، المصدر السابق، ص: 39.

السنة المعتمدة في علم الحديث وله عدة تأليف في ذلك[1]. ومن الذين برعوا أيضا في علم الحديث القاضي محمد بن محمود بن أبي بكر المشهور بغيغ الذي اشتهر بنبوغه في عدة علوم منها علم الحديث الذي تلقاه أثناء رحلته إلى المشرق الإسلامي ثم عاد إلى تنبكتو ودرس هذا العلم[2]، أما أحمد بابا التنبكتي فقد هو الآخر تضلع في هذا العلم واشتهر بإجازاته التي كان يمنحها لطلابه، منهم أحمد بن محمد المقري[3].

ب- في علوم القرآن:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع وهو أرفع منزلة لكونه يتعلق بكلام الخالق عز وجل، فأعطيت له أهمية كبيرة على غرار العلوم الأخرى، فألفت فيه الكتب سواء في علوم القراءات أو في التفسير، وقد ساهم علماء بلاد السودان الغربي في علوم القرآن كغيرهم من علماء البلاد الإسلامية.

علم القراءات:

يعتبر العالم عبد المولى الحلالي من مشاهير القراء الذين ساهموا في هذا العلم، فقد اشتهر بتدريس روايتي ورش في مدارس السودان الغربي[4]، وكذا الإمام إبراهيم الزلفى من أشهر المدرسين في مدرسة أبي قاسم التواتي قبالة مسجد الجامع في تنبكتو، وكذا القارئ محمد بابا ستر ابن الفقيه أندغ محمد (ت:1002هـ/1592م) الذي سكن مدينة جني[5]. كذلك نجد الفقيه أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن القاصي الحاج روى عنه السعدي ما يفيد حرصه على تلاوة المصحف الشريف يقول: "وروي عن شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد أخي الفقيه عبد الرحمن، أنه قال لا يحول بين الشيخ أحمد هذا ودرس المصحف إلا إقراء العلم"[6]، إضافة للفقيه أبا عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ابن الفقيه

[1]- مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص: 240.
[2]- السعدي، المصدر السابق، ص: 34.
[3]- مقادير أحمد، المرجع السابق، ص: 143.
[4]- البرتلي، المصدر السابق، ص: 111.
[5]- السعدي، المصدر السابق، ص: 58.
[6]- المصدر نفسه، ص: 57.

المختار (ت:1044هـ/1606م) الذي كان بارعا في علم القراءات، فقد تتلمذ على يده الشيخ بن عبد المولى الحلالي وأخذ عنه الروايتين منها ورش[1].

علم التفسير:

لقد درس ببلاد السودان الغربي كتاب تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، واشتهر هذان التفسيران في هذه البلاد، وهذا راجع لبساطة أسلوبه ودقه معانيه، مما يسهل على طلاب العلم قراءتهما، وفهم معانيهما، مما أدى إلى اشتهار الإمام السيوطي بهذه البلاد، وقد قابله الأسكيا محمد الكبير في مصر أثناء زيارته لها في رحلة الحج التي قام بها، وسأله عن مسائل في الشريعة[2].

وظهرت مؤلفات أخرى في هذا المجال من تأليف علماء المنطقة كالإمام المغيلي[3] بكتابيه تفسير سورة الفاتحة، والبدر المنير في علم التفسير، واشتهر الفقيه أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله الشبكتي بالتفسير[4]، ودرس هذا العلم بمسجد سنكري[5]. كما يعتبر أحمد بابا التنبكتي من المفسرين، وقد برع فيه رغم أنه لم يترك مصنفا مستقلا إلا أنه كان مجازا في علم التفسير، وكان يدرسه في تنبكتو ومراكش، وهذا ما أورده تلميذه الفقيه أحمد بن الحاج محمد التواتي، نقلا عن البرتلي صاحب فتح الشكور: "لما فتح الله تعالى علي بملاقاة عالم الدنيا ومعلمها فقرأت عليه رحمه الله تعالى القرآن العظيم بتفسير الجلالين المحلي والسيوطي في عامين مرتين قراءة تحقيق وتفهم وتدقيق"[6].

---

[1]- مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص: 238.

[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص: 13.

[3]- الإمام المغيلي: هو محمد بن عبد الكريم المغيلي بن عمر بن مخلوف، اختلف في سنة ولادته، و الراجح أنها (831 هـ / 1427م)، ينتمي إلى قبيلة مغيلة نشأ في أسرة عريقة ذات علم و فقه، ارتحل إلى عدة مناطق لطلب العلم كفاس. أحمد بابا التبكتي، المصدر السابق، ص 576.

[4]- مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص: 239.

[5]- **مسجد سنكري**: من أشهر المساجد في تنبكتو وبلاد السودان الغربي، يقع في الشمال من مدينة تنبكتو بنته سيدة ثرية فاضلة من قبيلة الأغلال، أيام دولة مالي سنة 726هـ/1325م. ينظر: السعدي، المصدر السابق، ص: 43

[6]- البرتلي، المصدر السابق، ص: 33.

2- نماذج مؤلفات الفقهاء السودانيين:

أ- تاريخ الفتاش للقاضي محمود كعت الكرمني: مات صاحب الكتاب ولم يكمله بل أكمله حفيده ابن المختار، والكتاب يحمل عنوان "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، وهو بمثابة وثيقة هامة في تاريخ بلاد السودان الغربي، إذ يؤرخ للأحداث التي شهدها المؤرخ بنفسه[1]، بدأ كتابه بالحمدلة والبسملة، وخطبة اعتنى بحبكها وذلك مستدلا بالأحاديث والآيات القرآنية، فيعتبر وصفا دقيقا للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لبلاد السودان، إذ تكلم عن مملكة مالي وسلطانها منسا موسى الذي وصفه بأحسن الأوصاف وذكر رحلته الحجية التي اشتهر بها[2].

أما عن الجانب الثقافي فقد أعطى صورة عن الحياة الثقافية في مملكة سنغاي قبل الغزو المغربي وكيف ساءت بعده، كذلك ذكر حياة الفقهاء وعدد الكتاتيب التي تعلم القراءة والكتابة للصبيان وطريقة استعمال الألواح لغرض الكتابة. أما الجانب الاجتماعي فقد تكلم عن الأوصاف الناس وأصل القبائل في بلاد السودان الغربي، كما تكلم عن الجوانب الاجتماعية الأخرى، وأشار إلى الخرافات الشائعة في تلك البلاد، اعتمد كعت في تأليفه على الرواية الشفوية والمشاهدة العينية، كما كان له مصادر أخرى اعتمد عليها، أما أسلوبه فهو خبري يسرد الأحداث والوقائع، فالكتاب لم يكن مقسما غلى فصول أو أبواب، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة في تاريخ السودان الغربي، نشر هذا الكتاب من قبل المستشرقان الفرنسيان هوداس ودولافوس في باريس سنة 1914م باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى اللغة العربية[3].

ب- تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي:

يعد كتاب السعدي الذي عاصر دولة الأساكي بصنغاي وتوفي بعد سنة 1067هـ/1655م بعد من أوثق مصادر تاريخ بلاد السودان الغربي، فقد سلط الضوء على تاريخ السودان مع الذكر للثقافة الإسلامية بها، كما ذكر الحوادث السياسية لكل من دولة مالي إلى حكم سني على في دولة سنغاي،

[1]- محمود كعت، المصدر السابق، ص: 16.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص: 43.

[3]- المصدر نفسه، ص: 33، 85.

ورتب السعدي كتابه في ثمانية وثلاثين بابا، وغلب على أسلوبه الأسلوب الوصفي في سرده للأحداث، حيث كتب كل ما عاينه من أحداث سواء كإمام بمسجد سنكري أو وظيفته ككاتب في إلى جانب أسفاره ورحلاته بين الأقاليم البلاد، وأما عن مصادر كتابه فعلى رأسها المصادر الشفوية التي كانت له خير زاد وذلك باحتكاكه للعلماء والقضاة، ومن المصادر المكتوبة نجد بأنه اعتمد على مؤلفات شيخه وأستاذه التنبكتي كنيل الابتهاج بتطريز الدباج، والكتاب يدخل ضمن كتب التاريخ العام الذي أرخ لبلاد السودان حيث شمل التاريخ والتراجم والسير والطبقات والرحلات[1].

جـ- نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي:

يعتبر الكتاب من أهم ما كتب في علم التراجم ببلاد السودان الغربي فقد ترجم فيه لشخصيات وأعلام من داخل وخارج البلاد، ونهج في تراجمه ما كتبه ابن فرحون في ديباجته والقاضي عياض في مداركه، أرخ فيه لعلماء المالكية السودانيين وأفرد سيرهم وصفاتهم وخصائصهم[2]، واحتوى على ثمانمائة وثلاثين رجلا مترجما له، ولم يقتصر على أعلام بلاد السودان فقط بل ترجم لأعلام من المغارب الثلاث، مبين من خلال تراجمه لرحلاتهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية، واعتمد في تأليفه على عدة مصادر منها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب السلماني، وتاريخ ابن خلدون، ورحلة ابن قنفذ القسنطيني، وفهرسة ابن غازي المكناسي وغيرهم من المصادر الأخرى[3].

د-كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج للتنبكتي:

وهو أيضا لأحمد بابا التنبكتي كتبه كتكملة أو ذيل لكتابه نيل الابتهاج، واقتصر فيه على ذكر المشاهير من الأئمة والفقهاء المشهورين بتأليفهم دون غيرهم، وتضمن ترجمة سبعة مئة عالم من عالم من علماء المشرق والمغرب والأندلس وبلاد السودان من فقهاء المالكية، وامتاز هذا الكتاب بترجمة شخصية للمؤلف وفهرس خاص به مع المكتبات العلمية لفقهاء المالكية في السودان الغربي.

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص: 210.

[2]- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ج: 1، ص ص: 19-20.

[3]- مقادم عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص: 157-158.

3- المكتبات في السودان الغربي:

كانت المكتابات في العالم الإسلامي من أهم الأماكن المطلوبة، فقد كانت يعتمد عليها العلماء والطلبة من أجل تلبية رغباتهم العلمية، ومع انتشار الإسلام واللغة العربية في أرجاء السودان الغربي، كان من الضروري توفير الكتب ووضعها في مكان من أجل الحفاظ عليها، لذا كان من الضروري وجود المكتبات. ونجد بأن الحكام والسلاطين والملوك كان لهم الدور الكبير في توفير الكتب،حيث قام السلطان منسا موسى الذي انتهز فرصة وجوده في كل من القاهرة والأراضي المقدسة للاقتناء الكتب القيمة وتوفيرها لأهل مملكته، وسار على نهجه منسا سليمان، ثم اتبعه أسكيا الحاج محمد مؤسس أسرة الأساكي في سنغاي وذلك بإهدائه مكتبة علمية متكاملة للجامع الكبير في تنبكت[1].

كذلك اهتمت مختلف طبقات المجتمع السودان الغربي باقتناء الكتب والمخطوطات والعمل على نسخها بدقة وبخاصة النادرة منها، حتى أصبح للوراقين والنساخ مكانة عظيمة في المجتمع السوداني، فازدهرت المكتبات خاصة تلك اقتناها العلماء والحكام وبعض الأثرياء في بيوتهم خاصة لدى الأسر المعروفة بالعلم، فلا تجد عالما إلا وله مكتبة خاصة في بيته تحتوي على أهم الكتب، التي كانت تشتري من طرف التجار الذين يأتون إلى السودان الغربي خاصة من مصر والمغرب، وذلك عن طريق القوافل التجارية[2].

ويعتبر أسكيا داوود[3] من الأوائل الذين اتخذ خزائن الكتب، وعمل على توفير الكتب لها، كذلك وفر الناسخين من أجل نسخ الكتب التي كان يهادي بها العلماء[4]. وتعد مكتبة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت من أبرز وأهم المكتبات العلمية، فقد اهتم صاحبها بجمع الكتب الثمينة والنفيسة ووضعها في مكتبته الخاصة، كذلك باستنساخ بعضها، حيث كانت ملجأ الطلبة من أجل أخذ العلم

---

[1]- المقريزي تقي الدين العباس أحمد بن علي، المصدر السابق، ص: 143.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص: 541.

[3]- أسكيا داوود: (956- 990هـ / 1549- 1582 م) و آخر أولاد الأسكيا محمد الكبير الذين تولوا حكم صنغاي، حكم أسكيا داوود ثلاثة و ثلاثون عاما، كان من أبرز السلاطين، اشتهر بحنكته السياسية، و طيلة أيام حكمه لم يتوقف عن الحرب سنة واحدة. عبد القادر زبايدية، المرجع السابق، ص 33.

[4]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 253.

والمعرفة من أمهات المصادر، فكانت هذه المكتبة مفتوحة للجميع من أجل الإعارة، وترك بها حوالي سبعمائة مجلد ورثها ابنه بعده وزاد عليها وأكمل مهمة والده[1].

كذلك نجد مكتبة الحاج أحمد بن عمر وهي مكتبة غنية بأمهات الكتب المتداولة والمشهورة في شتى فنون المعرفة، وقد عرف الحاج أحمد بالعلم والاعتناء بطلبته، فقد ورث مجموعة كبيرة من الكتب عن جده لأمه الفقيه أندغ محمد وخاله الفقيه مختار النحوي، كما كان يقوم بنسخ كتبه، وكتب عدة دواوين بخط يده[2]. ومن أهم المكتبات في السودان الغربي أيضا نجد مكتبة محمد بغيغ الونكري التي تعتبر من أعظم المكتبات العلمية الخاصة في تنبكت، فقد جمع فيها معظم الكتب النفيسة والنادرة، وكان يسمح بإعارة الكتب من أجل نشر العلم والمعرفة وإفادة طلابه بمختلف الكتب المهمة[3]، ومكتبة العالم الفقيه أحمد باب التنبكتي تعتبر من بين أشهر مكتبات الفقهاء المالكية، فهي مكتبة عظيمة غنية بمئات المجلدات من أمهات الكتب، فقد اهتم صاحبها بالعلوم الشرعية كذلك بالكتب والمخطوطات في مختف أنواع العلوم[4].

[1]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 254.

[2]- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ص: 137.

[3]- المصدر نفسه، ج: 1، ص ص: 200-201.

[4]- سحر عنتر محمد أحمد، المرجع السابق، ص: 255

المبحث الثالث: الصلات العلمية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز

تعد الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من الغرب ومصر والحجاز من أقدم الصلات في التاريخ خاصة المغربية منها.

1- الصلات العلمية بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب

تعتبر الصلات الثقافية بين المغرب والسودان من أقدم الصلات بين هذه المنطقتين، فبلاد المغرب تعتبر همزة وصل بين مختلف البلدان، كالمشرق والأندلس، لأنجل الرحلات كانت تمر من المغرب من أجل الوصول إلى المناطق الأخرى. والصلات المغربية كانت في المرتبة الأولى حيث أن المدارس تكون مغربية، فالدارس هناك يحس وكأنه درس في فاس أو مراكش أو القيروان أو تلمسان، ذلك لأن تلك المؤسسات التعليمية كانت تنتهج أسلوب التعليم المغربي، وهذ أمر منطقي مادام الإسلام والثقافة الإسلامية قد دخل إلى بلاد السودان الغربي عبر بلاد المغرب، لهذا وصفت الثقافة في تلك البلاد بأنها ثقافة مغربية على أرض سودانية[1].

حيث أن هذا التأثير ساهم في خلق جيل من كبار العلماء السودانيين الذين كانت لهم شهرة ومقدرة علمية حيث رحل عدد من أبناء السودان الغربي للدراسة في المغرب، ومن أبرز هؤلاء نجد كاتب منسا موسى وهو من العلماء الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان[2]،كذلك نجد الفقيه عبد الرحمن التميمي المكي الذي جاء إلى السودان مع منسا موسى[3] أثناء عودته من رحلة حجه من أجل التدريس في تنبكت لكن لم يمكث بها طويلا[4]. كما رحل عدد كبير من فقهاء المغرب إلى بلاد السودان الغربي، فقد شاهد ابن بطوطة خلال زيارته لتلك البلاد عدد من الفقهاء المالكية المغاربة في

---

[1]- مطير سعد غيث أحمد، المرجع السابق، ص: 118.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص: 57.

[3]- منسا موسى: هو السلطان موسى بن أبي بكر التكروري حاكم دولة مالي الإسلامية للفترة (712 – 738 هـ / 1312 – 1337م) و هو صاحب رحلة الحج الشهيرة. ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، 295.

[4]- المصدر نفسه، ص: 51.

بلاد السودان الغربي، والتقى في مدينة ولاته بأحد فقهاء مدينة سلا[1]، ويدعى الفقيه ابن بداء[2]. ولقد تعمقت الصلات بين البلدين خصوصا في زمن دولة سنغاي مع مجيء الإمام محمد عبد الكريم المغيلي، الذي ارتحل إلى بلاد السودان ودخل إلى بلدة تكدا ووصل إلى مدينة جاو، واجتمع بسلطانها أسكيا محمد الكبير وعمل كمستشار سياسي وفقيه لديه[3].

واستمر تدفق علماء المغرب إلى بلاد السودان الغربي زمن دولة مالي الإسلامية بفضل تشجيع سلاطينها، وبخاصة منسا موسى الذي أرسل بطلب الفقهاء من المغرب والمشرق والأندلس، وعمل على استقدامهم إلى بلاده، ويشهد على ذلك استقدامه للفقيه عبد الله البلبالي من مدينة فاس، وقد ولاه إمامة مسجد الجامع بتنبكت، كما عاصره الفقيه أبو العباس الدكالي الذي تولى القضاء في دولة مالي[4].

كما وجدت الكثير من العائلات التي سكنت بلاد السودان الغربي، نذكر منها عائلة الفلالي ويأتي على رأسها الإمام الفقيه محمد بن بكر بن أكداد الفلالي المتوفي سنة 989هـ/1529م، الذي ولي الإمامة في الجامع الكبير في تنبكت وجنى وجاو، وهناك عائلات أخرى منها عائلة الهواري في جنى، وعائلة الدليمي من مراكش[5]. وقد بذل هؤلاء من العلماء جهدا في إثراء ثقافة السودانيين بخوضهم هذه الرحلات الشاقة إلى هذه الأوطان البعيدة، وبذلوا الكثير وسجل لهم التاريخ ذلك.

2- الصلات العلمية مع مصر:

لقد كانت الاتصالات الثقافية بين هذين البلدين قوية، حيث أصبحت مصر موطن الفكر الإسلامي في الشرق، حيث أنها تقع على طريق الحج ووجود الأزهر الشريف بها والذي يعتبر مركزا للدراسة شتى أنواع العلوم.

---

[1]- **سلا** :مدينة تقع بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلنطي، منها إلى مدينة مراكش، ولها نهر كبير في غرب هذا المحيط. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص: 231.

[2]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص: 661.

[3]-التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ج: 1، ص: 577.

[4]- سحر عنتر محمد، أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 118.

[5]- المرجع السابق، ص: 122.

وترجع هذه الصلات العلمية والثقافية مع مصر إلى زمن مملكة مالي، فقد توافد في عهدا طلاب العلم من السودان الغربي إلى مصر ليتزودوا بالعلم والمعرفة على يد مجموعة كبيرة من علمائها الذين ذاع صيتهم في الفقه المالكي، ومع تكاثر هؤلاء الطلاب الذين يأتون من بلاد السودان، فقد أسس لهم رواق في الأزهر عرف برواق التكاررة[1]، ومن بين هؤلاء الطلاب الوافدين على مصر فاتح بن عثمان التكروري المتوفي عام 690هـ/1293م، والذي قدم من مراكش إلى مصر، أخذ الفقه على أيدي علمائها ثم جلس ليعلمه في مسجد فتح بمدينة دمياط. كذلك نجد الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان الحراز العز التكروري المتوفي عام 857هـ/1453م، الذي تعلم في مصر أثناء رحلته إلى الحج، والتي تعتبر من أعظم الرحلات، حيث لها الدور الكبير والأثر العظيم في الاتصال الثقافي والعلمي بين البلدين، بعد أن قام بشراء الكثير من الكتب الفقه المالكي من أجل توفرها لأهل مملكته والاستفادة من الثقافة المصرية[2].

وإذا كانت الصلات العلمية والثقافية بين البلدين ترجع إلى زمن دولة مالي، فقد تعمقت أيضا في زمن دولة صنغاي، فنجد في مقدمتها الاتصالات مع الإمام عبد الرحمن السيوطي (849-911هـ/1445-1505م) الذي ذاع صيته العلمي بالرغم من عدم زيارته للسودان الغربي، حيث أن كتبه هي التي حصلت ونقلت إلى السودان الغربي[3]. كما أنه التقى بالأسكيا محمد الكبير أثناء وجوده بالقاهرة أثناء قيامه برحلة الحج، فجلس الأسكيا محمد إليه مستفتيا ومتعلما في مجلسه،مما كان له الأثر الكبير في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة من خلال تلك الفتاوى التي وجهها إليه الأسكيا محمد الكبير[4]. كما أن هناك رسالة من الإمام السيوطي تدل على عمق هذه الصلات، كذلك تدل أيضا على مدى حرصه على إقامة العدل وإتباع القواعد الإسلامية الصحيحة عند حكام وأمراء وسلاطين السودان الغربي، سماها "رسالة إلى الملك التكرور"، وتدل هذه الرسالة أيضا على مدى الصداقة التي

[1]- عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص: 146.

[2]- سحر عنتر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص ص: 266-267.

[3]- المرجع نفسه، ص: 267.

[4]- مقادم عبد الحميد، المرجع السابق، ص: 135.

كانت موجودة بين الإمام السيوطي والحكام والأمراء، فكانوا يعملون بمشورته وإرشاداته كذلك نجد مدى هذه الصلات بين السيوطي وفقهاء السودان الغربي أنه ترددت أراء السيوطي الفقهية في العديد من مؤلفات وكتب علماء السودان الغربي[1].

كذلك كانت هناك رسالة أخرى من الفقيه التنبكي عام 1014هـ/1606م موجهة إلى علماء مصر وعنوانها: "مسائل إلى علماء مصر"، يسألهم فيها عن أمور استوقفته بلغت واحدا وعشرين مسألة تدور حول مسائل فقهية وتصوف ونحو وأصول، طلب فيها رأيهم فيها ذلك بأدلة من الكتاب والسنة[2]. كما التقى القاضي محمود كعت ورفاق رحلته في الحج والتي كانت مصاحبة للأسكيا محمد الكبير بعلماء مصر، وجلسوا متعلمين في حلقات الأزهر العلمية على يد علمائها وخاصة على يد الإمام السيوطي[3].

3- الصلات العلمية مع بلاد الحجاز:

كان لرحلات الحج التي قام بها الكثير من أهل السودان الغربي إلى بلاد الحجاز دور هام في دعم الاتصالات العلمية والثقافية بين البلدين، لم يكتف هؤلاء الحجيج بتأدية الشعائر الدينية فقط، بل كانوا يقومون بزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمكثون هناك، وخير دليل على ذلك الفقيه محمد بن عبد الله التكروري الذي كان خطيبا في بلاده حج وجاور المدينة المنورة وظل بها حتى وفاته توفي ودفن هناك عام 742هـ/1341م. وقد حرص بعض أبناء السودان الغربي على الجلوس في حلقات العلم ومجالسه، والحصول على الإجازات العلمية من علماء بلاد الحجاز، ومن هذه الإجازات الإجازة تلك التي حصل عليها إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري وكانت عام 988هـ/1580م، منحت له من طرف الإمام النهروالي[4].

---

[1]- مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص: 143.

[2]- المرجع نفسه، ص: 145.

[3]- محمود كعت، المصدر السابق، ص: 13.

[4]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 273.

كما كانت للفقيه محمود بن عمر أقيت رحلة إلى الحج سنة 915هـ/1509م، وكذلك الفقيه العاقب الأنصمني[1] الذي وصل إلى الأراضي المقدسة لغرض الحج، والذي تمكن من خلال هذه الرحلة من الاستفادة علميا وذلك من خلال مخالطته ومجالسته للعلماء والفقهاء[2]، وكذلك أبو بكر بن عمر أقيت، الذي سار في رحلة الحج ثم عاد إلى تنبكت ثم قرر نقل عائلته والرحيل نهائيا إلى الأراضي المقدسة، فلقد أفاد الكثير من علمه وأكمل بقية حياته في المدينة المنورة ودفن في بقيعها سنة 991هـ/1583م[3].

كما حصل الفقيه أحمد بابا التنبكتي على الإجازة من إمام المالكية الإمام يحي بن محمد بن محمد الخطاب (902-995هـ/1496-1578م)، وكانت هذه الإجازة عن طريق المراسلة، مما يدل على عمق الصلات العلمية بين علماء السودان الغربي وعلماء الحجاز، مخالطة العلماء والاستفادة منهم ومنحهم الإجازات العلمية[4]، ومعظم الرحلات إلى بلاد الحجاز كان معظمها من أجل أداء فريضة الحج كان موضع تتلاق فيه مختلف الأجناس لذلك أبناء السودان الغربي كانوا يلتقون العلماء والفقهاء ويأخذون منهم مختلف العلوم والعلم.

وهكذا نرى بأن المذهب المالكي وفقهاءه يعدون من أهم ركائز مجتمع السودان الغربي، لذلك اكتسب فقهاء المالكية مكانة عظيمة داخل هده البلاد، حيث كان أهم الدور الحيوي في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية،كما أن ازدهرت الحركة العلمية في السودان الغربي، وهذا راجع لتشجيع الحكام والملوك للعلم والعلماء، فنشطت حركة التأليف فعلماء السودان الغربي حرروا وكتبوا كتب ومصادر في مختلف العلوم، كما كانت للمكتبات الخاصة دور هام في تطور الحركة العلمية والثقافية في البلاد.

---

[1]- العاقب بن عبد الأنصمني: ينتمي العاقب بن عبد الله إلى قبائل مسوفة الصنهاجية، و لقب الأنصمني نسبة إلى بلدة الأنصمن، التي سكنها و هي قرية من بلدة تكدا، و لم يعرف تاريخ ولادته و لا وفاته إلا أنه كان حيا سنة 950 هـ – 1543م، تلقدى تعليمه الأول في قرية تيكدا، رحل إلى المشرق لتأدية فريضة الحج، و في طريقه بمصر إلتقى بالإمام السيوطي، ينظر سعدي، المصدر السابق، ص 41.

[2]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 281.

[3]- مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص: 170.

[4]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 274.

وأخيرا كان للصلات العلمية والروابط الثقافية بين فقهاء المالكية في السودان الغربي فقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز، دور فعال في تقوية الروابط الثقافية بين البلدين،حيث كان التأثير المغربي على التعليم ومناهجه وأساليبه قويا، أما مع مصر والحجاز كان لهما الأثر في رفع شأن الفقهاء والعلماء.

الخاتمة

بعد دراستنا لموضوع انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي (ق 5-11هـ/11-17م)" قد أفضت بنا إلى عدة نتائج واستنتاجات خلصنا إليها، وهي:

لقد تعاقب على حكم بلاد السودان الغربي عدة ممالك كان لها دور بارز في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، ولقد ساهمت الكثير من الوسائل في انتشار الإسلام بالمنطقة، منها التجار الذين كان لهم الفضل الكبير في انتقال الإسلام و اللغة العربية لبلاد ما وراء الصحراء.

كانت الحياة المذهبية في المشرق والمغرب الإسلاميين تلقي بظلالها على بلاد السودان الغربي، مما ساهم في دخول المذاهب كالمذهب الإباضي والشافعي والشيعي، إلا أن هذه المذاهب لم تدم طويلا مع دخول المذهب المالكي الذي أقبل عليه السودانيين دون غيره من المذاهب، ومع دخول الإسلام لمنطقة ما وراء الصحراء، حقق المذهب المالكي نجاحا كبيرا من خلال توغله في بلاد السودان الغربي بفضل ملائمة المذهب لنفسية السودانيين، إضافة إلى حركة المرابطيين إذا عمل الملثمون على نشر الإسلام في المنطقة، وكان المذهب المالكي أساسها، ومن العوامل التي ساعدت أيضا على دعم الملوك والسلاطين لنشر هذا المذهب فأولى الملوك عناية خاصة به من خلال البعثات العلمية لتقوية الترابط الثقافي والديني بين السودانيين وحواضر العالم الإسلامي، ضف إلى ذلك رحلات الحج التي كان لها الأثر الواضح في توطين المذهب في المنطقة.

وحقق المذهب المالكي نجاحا كبيرا في السودان الغربي وذلك راجع إلى ارتباطه بالسنة وأيضا شخصية صاحب المذهب نفسه، فقد عرف عنه تمسكه بالسنة ومحاربة البدع والتمسك بآثار الصحابة والتابعين، إضافة إلى أنه أبرز تفوقه على باقي المذاهب والفرق من حيث امتداده الاجتماعي بشكل واضح، ودليل ذلك كثرة فقهائه الذين تمكنوا من تكوين قاعدة اجتماعية واسعة وقوية لمذهبهم.

كان لفقهاء المالكية السودانيين خلال المسيرة التي قطعوها من حيث انتشاره تأثيرات مهمة في مختلف الجوانب العلمية والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، فمن الجانب العلمي والثقافي قد سعوا إلى فرض رقابتهم عليها متى أمكنهم ذلك، خصوصا إبان تبوئهم لبعض المناصب، ومعتمدين في ذلك أيضا على بث العلم الشرعي بين أبناء المجتمع السوداني، فقدموا مذهبهم كبديل مناسب للفرق المخالفة للمنهج السني، أما من الجانب الاجتماعي فيتمثل إسهامهم في تمتين الوحدة الاجتماعية لأهل السودان الغربي، وذلك بإرسائهم لدعائم التكافل بين أبناء المجتمع السوداني. عن طريق تعميق روح الإحساس

بالوحدة بين أفراده وضرورة التعاون والتآلف فيما بينهم، إضافة إلى الحفاظ على قيم المجتمع المسلم والقضاء على العادات والمفاسد التي تخالف الشريعة الإسلامية، ومن الجانب السياسي فقد سعوا لجعل التشريع الإسلامي المصدر الأساسي في تطبيق الأحكام، علاوة على أنهم تقلدوا مناصب في الحكم، ومن العلماء الذين اشتهروا بممارسة القضاء أسرة آل أقيت ما يدل على تفاعل أبناء المنطقة مع المذهب المالكي و ثقافته.

ساهم فقهاء المالكية بدور بارز في ازدهار الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي من خلال المؤلفات والكتابات في شتى المجالات ومختلف المعارف سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم، كما كان لهم بعض الرسائل والتعاليق التي أغنوا بها الحياة الفكرية وأسهمت في دعم المذهب المالكي.

قام فقهاء المالكية السودانيين بدور كبير في الصلات العلمية بينهم وبين فقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز، حيث أثرت هذه الصلات تأثير مباشر في بلاد السودان الغربي، وخاصة الصلات المغربية حتى وصفت الثقافة في السودان الغربي بأنها ثقافة مغربية على أرض سودانية، كما كان للصلات المصرية والحجازية مع بلاد السودان أكبر الأثر في رفع شأن فقهاء السودان الغربي، واستمرت هذه الصلات عن طريق رحلات الحج والرحلات العلمية، ضف إلى ذلك كتب الدراسات والإجازات العلمية والمراسلات، ويرجع ذلك إلى الأفكار والمفكرين والعلماء والعلوم في العالم الإسلامي التي كانت لا تعترف بالحدود.

الملاحق

الملحق 01: خريطة توضح بلاد السودان الغربي

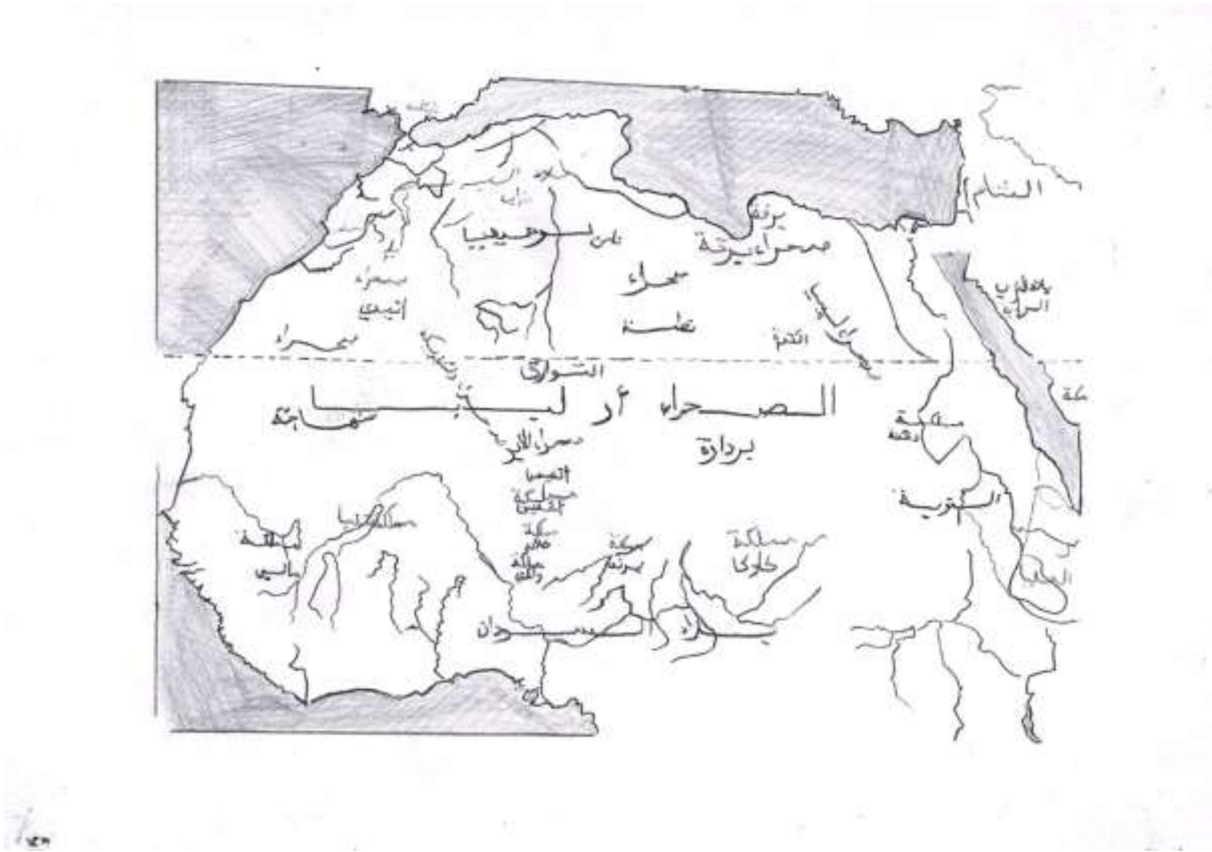

نقلا عن: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص15

الملحق 02: خريطة توضح القبائل الرئيسية في غرب إفريقية

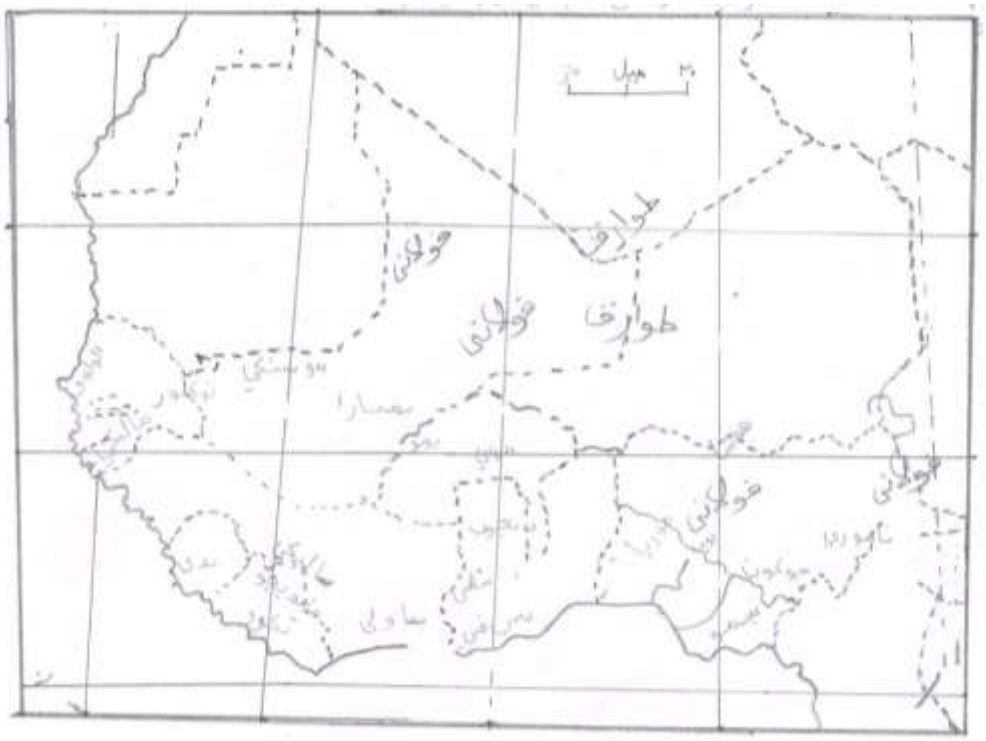

نقلا عن: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، ص 223.

الملحق 03: خريطة توضح إمبراطورية غانا

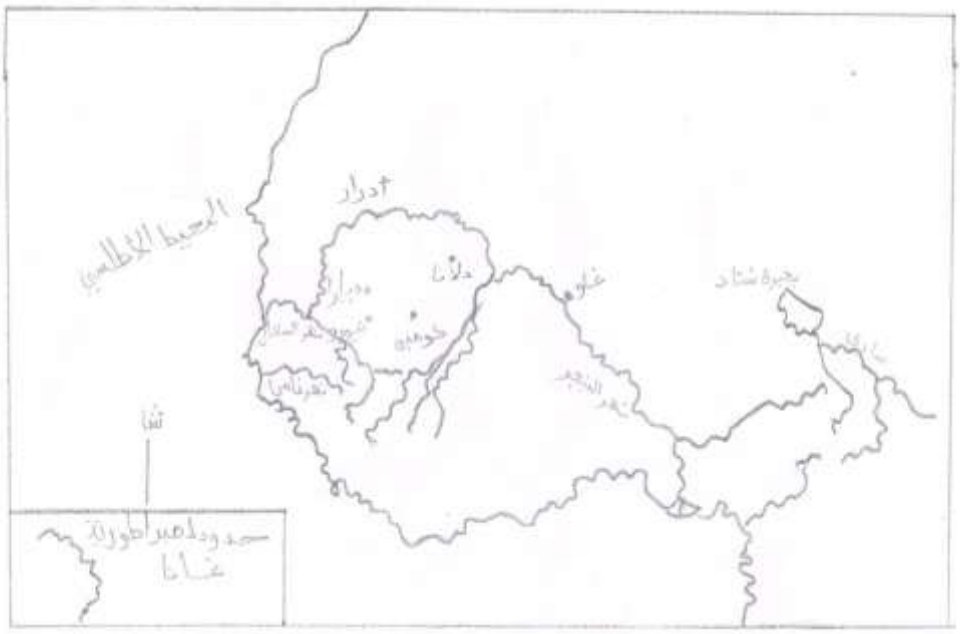

نقلا عن: عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، ص 245.

الملحق 04: خريطة توضح امبراطورية مالي

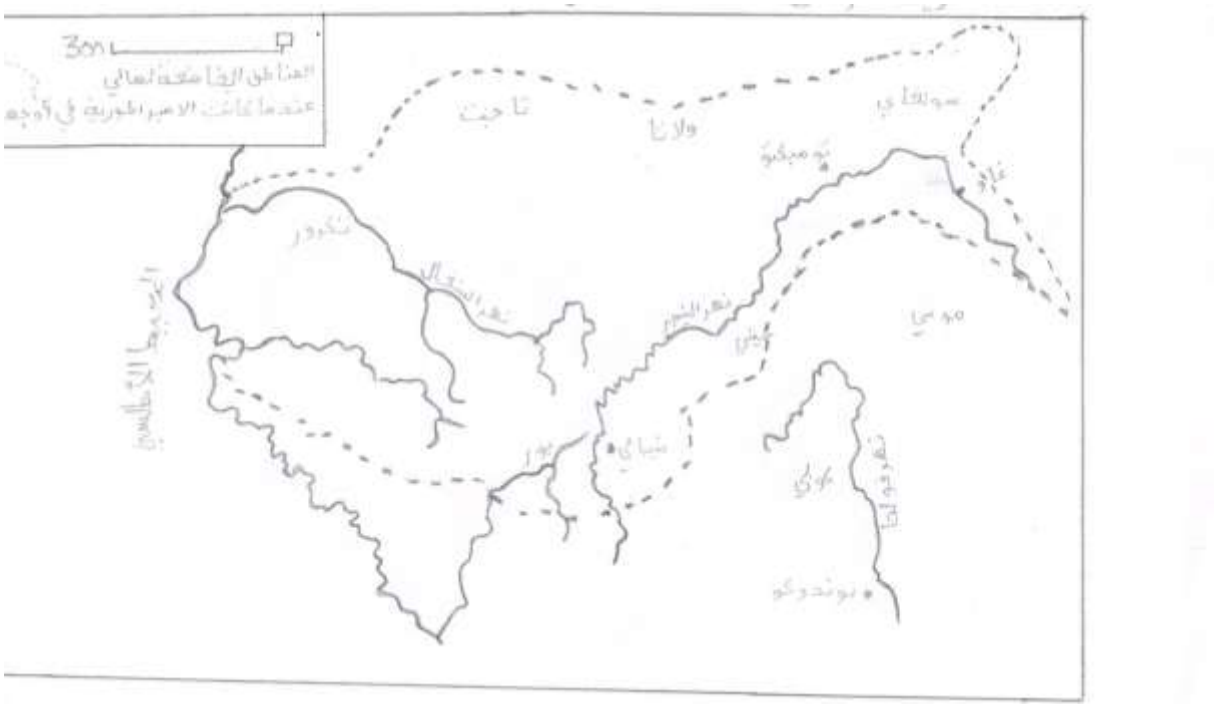

نقلا عن: عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، ص 266.

الملحق 05: خريطة توضح امبراطورية السونغاي

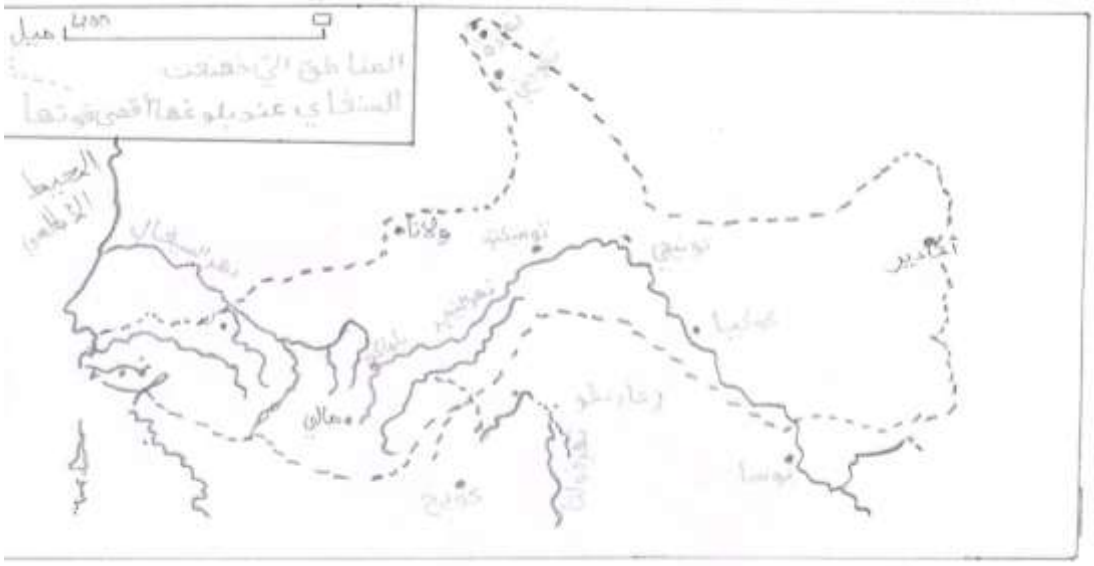

نقلا عن: عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، ص 290.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1- الإدريسي أبو عبد الله الشريف (ت:560هـ/1100م)، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. تج: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

2- الأرواني مولى أحمد بابير، **السعادة الأبدية بالتعريف بعلماء تنبكت البهية**. تح: الهادي مبروك الدالي، ينغازي، دار الكتب الوطنية، د.ط، 2001.

3- الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي (ت:346هـ/998م)، **المسالك والممالك**. تر: محمد جابر عبد العال، دار القلم، د.ط، 1961.

4- البرتلي أبو عبد الله الولاتي(ت: 616هـ/ 1219م) ، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**. تح: محمد ابراهيم الكتاتي ومحمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1981، ص: 150.

5- ابن بطوطة أبو عبد محمد إبراهيم (ت:779هـ/1377م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار**. ج: 4، تح: عبد الهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط.

6- البكري عبيد الله بن عبد العزيز بن عمرو (487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت.

7- التنبكتي أحمد بابا (ت:963هـ/1036م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**.ج: 2، طرابلس، دار الكتاب، ط2، 2000.

8- ابن حزم الأندلسي(ت: 456هـ/ 1064م)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**. ج: 2، تح: إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م.

9- الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت:962هـ/1554م)، **وصف إفريقيا**.ج: 2، تر: حجي عمار ومحمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م.

ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي (ت:367هـ/977م)، **صورة الأرض**. لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992.

- ابن خلدون عبد الرحمن (808هـ/1406م):

10- **المقدمة**. بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ط1، 1968م.

11- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**.ج: 6، بيروت، دار الفكر، 2000.

12- الدمشقي شمس الدين (ت:727هـ/1327م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**. بيتربورغ، المطبعة الأكاديمية للإمبراطورية المقدسة، 1996.

13- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ/1348م)، **أعلام النبلاء**. تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996.

14- سعدي عبد الرحمن بن عبد الله (توفي بعد: 1066هـ/1655-56م)، **تاريخ السودان**. باريس، مطبعة بردين، د.ط، 1981.

15- ابن سعيد المغربي(ت 685هـ/ 1286م)، **كتاب الجغرافيا**. تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1982م.

16- الشماخي أبو العباس (ت: 928هـ/ 1521م)، **كتاب السير**. تح: محمد حسن، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط1، د.ت.

17- ابن فرحون المالكي (ت:799هـ/1398م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تح وتع: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، مدرسة الحديث بجامعة الأزهر، القاهرة، دار التراث.

18- القلقشندي أبو العباس (ت:821هـ/1418م)، **صبح الأعشا في صناعة الانشا**. ج: 5، تح: نبيل خالد الخطيب، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م.

19- كعت محمود التنبكتي القاضي (ت:955هـ/1548م)، **تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرار وعظائم الأمور وتعريف أنساب العبيد من الأحرار**. تق: ولد السالم، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2012.

20- محمد بلو بن عثان فودي(ت: 1253هـ/1837م)، **إنفاق الميسور في تاريخ بلد التكرور**. تح: بهيجة الشاذلي، الرباط، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، ط1، 1996م.

21- المقريزي تقي الدين (ت:845هـ/1441م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**.ج: 2، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1987.

22- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت: 622هـ/1225م)، **معجم البلدان**.مج: 3، بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت.

المراجع العربية:

23- إبراهيم علي طرخان **إمبراطورية البرنو الإسلامية**.القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.

24- إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/121م الشرعيات والعقائد**.ج: 2، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، د.ط، 2000.

25- إبراهيم علي طرخان، **الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط**. الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ط، 1969م.

26- إبراهيم علي طرخان، **إمبراطورية غانة الإسلامية**. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، د.ط، 1970.

27- أحمد الشريف السنوسي، **مالك ابن أنس ومدرسة المدينة**. الجزائر، دار البصائر، د.ط، 2009.

28- أحمد الشكري، **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي**. أبو ظبي، منشورات المجتمع الثقافي، د.ط، 1996.

29- أحمد طاهر، **إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر**. دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1985م.

30- أحمد نجم الدين فليحة، **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**. القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة،.ط، د.س.

31- الأحمر أسماء أحمد، **الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية (869-1000هـ/1464-1591م)**. بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1، 2008.

إسماعيل العربي:

32- **الصحراء الكبرى وشواطئها**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1983م.

33- **حاضر الدول الإسلامية**. الجزائر، مؤسسة الكتاب، ط1، 1984م.

34- إلهام محمد علي ذهني، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ضد الاستعمار الفرنسي، (1750-1914)**. دار المريخ، الرياض، د.ط، 1988.

35- أمطير سعد غيث أحمد، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**. بنغازي، دار الكتب الوطنية، د.ط، د.ت.ن.

36- إيهاب شعبان عبد الشافي، **القضاء في دولتي مملكة مالي وصنعاي وأثره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/1238-1591م)**. القاهرة، الإفريقية الدولية للنشر والطبع والتوزيع، ط1، 2014.

37- باري محمد علي وسعيد إبراهيم كريدية ، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م.

38- بوعزيز يحي، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**. الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، ط1، 2001م.

39- جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعة، **أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ إفريقيا**. دار الوفاء، د.م.ن، د.ط، د.س.ط.

40- الجيدي عمر بن عبد الكريم، **محاضرات في الفقه المالكي في المغرب الإسلامي**. ج:1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، د.ط، 1984.

41- حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963م.

42- الدالي الهادي مبروك، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن الثامن عشر**. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999م.

43- دندش عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/ 1038-1121م)**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988.

44- زاهر رياض، **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا**. مصر، مكتبة أنجلو، ط1، 1968م.

زبادية عبد القادر:

45- **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989م.

46- **مملكة سنغاي في عهد الأسقين (1493/1591م)**. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

زكي عبد الرحمن:

47- **تاريخ الدولة الإسلامية السودانية في إفريقيا الغربية**. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، 1974م.

48- تاريخ الدولة بإفريقيا الغربية. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ط، 1964م.

49- الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا. مطبعة يوسف، د.ب، د.ط، د.س.

50- زمان عبيدو ناس، **تمبكتو وآثارها في العصور الإسلامية المتأخرة**. عمان، دار الأيام، د.ط، 2016

51- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي**. القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1432هـ/2011م.

52- الشنقيطي أحمد الأمين، **آداب البحث والمناظرة**. تح :سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي، السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، د.ط، 2018.

53- شوقي عطا الله والجمل إبراهيم، **تاريخ المسلمين بإفريقية ومشكلاتهم**. القاهرة، دار الثقافة للنشر، 1996م، ط1.

54- الشيخ رأفت الغنيمي، **المسلمون في العالم تاريخا وجغرافيا**. عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط2، 1998.

55- صلاح الدين المنجد، **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**. بيروت، دار الكتاب الجديد، ط2، 1982.

56- عبد الرحمان الشرقاوي، **أئمة الفقه التسعة**. القاهرة، دار الشروق، ط1، 1411هـ/1991م.

57- عبد الرحمن عثمان حجازي، **المذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي**. بيروت، المكتبة العصرية، ط2، 1995.

58- عبد الرحمن ميغا محمد، **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 الهجري**. المملكة المغربية، لمطبع البيضاوي، د.ط، 2011.

59- عبد الغني الدقر، **مالك ابن أنس**. دمشق، دار العلم، د.ط، 1998.

60- عبد القادر زيادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين**. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص: 123.

61- عبد القادر مصطفى وآخرون، **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**. دار الجماهيرية، مصر، د.ط، 2000م.

62- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**. د.د.ن، القاهرة، 1998.

63- عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**.القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 2000.

64- علي جمعة محمد، **المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية**.القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط4، 1433هـ/2012م.

65- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **حركة المد الإسلامي في غربي إفريقيا**. القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ط1، 1985م.

66- فضل كلود الدكو، **الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم (600-1000هـ/1200-1600م)**.ليبيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1998.

67- الفلاتي عبد الرحيم، **الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان**. الكويت، دار الكتاب الحديث، 1994م.

68- الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**. بنغازي، 1997م.

69- مالك جاسم الطاهر، **إفريقيا ما وراء الصحراء**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د.ط، د.ت.

70- محمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره وآراءه وفقهه**. مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت.

71- محمد أبو محمد إمام، **سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية**. وزارة الإرشاد والأوقاف، جامعة إفريقيا العالمية، 1427هـ/2006.

72- محمد الروكي، **المغرب مالكي لماذا**. المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 2003.

73- محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**. ج: 1، الكويت، مؤسسة خليج، د.ط، د.س.

74- محمد المختار محمد الماحي، **المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته)**. الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1422هـ/2002م.

75- محمد تيمور باشا، **المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين**. القاهرة، دار الآفاق العربية، 2001.

76- محمد عبد الغني المسعودي، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، إقليم إفريقيا**. مج: 12، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن مسعود، د.ط، 1999م.

77- محمد فتح الله الزيادي، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**. طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط3، 1983.

78- محمد محي الدين رزق، **إفريقيا وحوض النيل**. مطبعة عطايا، مصر، ط2، 1936.

79- محمود حسن أحمد، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**. القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2002م.

80- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي غرب إفريقية**.ج: 5، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1998.

81- مسعود عمر محمد علي، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيها بين القرنين (8 و 10هـ/14 و16م)**. ليبيا، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003.

82- مسعود عمر محمد، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين**. د.م.ن، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003.

83- مهدي رزق الله أحمد، **حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا**. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1998.

84- ناجي علي أيوب، **لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم**. الكويت، دار الكتاب الحديث، ط1، 1996م.

85- الناني ولد الحسين، **صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**. تق: محمد حجي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007م.

86- نجم الدين الهنتاني، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ /11م**. تونس، نبر الزمان، 2004.

87- نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1974.

88- الهادي الدالي مبروك وعمار هلال، **الإسلام في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا (1850-1914م)**. بيروت، دار حنين للطباعة والنشر، 1996.

89- الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا**. بيروت، دار الملتقى، ط1، 2001.

المراجع المعربة:

90- بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**. تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط2، 1988.

91- بولم دنيس، **الحضارات الإفريقية**. تر: علي شاهين، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، 1974.

92- جوان جوزيف، **الإسلام في ممالك إمبراطوريات إفريقيا السوداء**. تر: محمد السويقي، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1404هـ/1984م.

93- ولتر رودني، **أوروبا والتخلف في إفريقيا**.تر: أحمد قيصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م.

المذكرات والرسائل والأطاريح:

94- أحمد السيد باز، **الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغاي (638-999هـ/1240-1591م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1994/1993م.

95- خالدي مسعود، **وسائل انتشار الإسلام في السودان من القرن الأول إلى الخامس الهجريين السابع إلى الحادي عشر الميلاديين**. رسالة ماجستير غير منشورة ، إش: بوبة مجاني، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1412هـ/2000.

96- الشيخي حسن علي إبراهيم، **تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر ميلادي**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2009/2008م.

97- عواشرية خولة، **انتشار المذاهب الإسلامية في السودان الغربي في عهد مملكتي مالي و نغاي بين القرنين (2-9هـ/8-15م)**. مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، إش: خالدي مسعود، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2017/2016م.

98- قارح أحمد وراهب أمين، **القيروان ودورها في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي (ق 2-8هـ)**. مذكرة ماستر في التاريخ، إش: زرقوق محمد، جامعة الجيلالي بونعامة، 2016/2015.

99- مزدلفة عمر محمد ثاني، **التاريخ الاجتماعي لمجموعة الفلاني بجنوب النيل الأزرق في الفترة (1900-2006م)**. مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، قسم الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2007م.

100- مقاديم عبد الحميد، **المدارس العلمية بالسودان الغربي ودورها الثقافي والسياسي من القرن 9 إلى 11هـ**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، إش: عبد المجيد بن نعمية، قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

المقالات والدوريات:

101- إبراهيم علي طرخان، "الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط". مجلة أم درمان، السودان، ع: 2، 1968.

102- أحمد بن محمد بونوة، "الإمام شيخ الإسلام مالك بن أنس"، شبكة الألوكة، 1438هـ/2017م.

103- أحمد جعفري، "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب: قراءة في المصادر العربية والإفريقية ما بين القرنيين 14 و17 الميلاديين". مجلة آفاق علمية، مج: 12، ع: 1، 30 أفريل 2020.

104- أمل بنت صالح بن غصاب الشمراني، "مجاورة بيت الله الحرام وأثرها الحضاري في بلاد السودان الغربي". قراءات افريقية، ع: 16، 2018.

105- أنجاي مصطفى، "من كانم إلى صوكوتو موجز التاريخ السياسي للسودان الأوسط". مجلة قراءات إفريقية، الخرطوم، السنة 14، ع: 35، جانفي 2018م.

106- حديدي الحسين، "الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا وإشعاع الحياة الفكرية بها في العصر الوسيط وبداية الحديث". مجلة قراءات إفريقية، السنة 14، ع: 35، جانفي 2018م.

107- حسين سيد عبد الله مراد، "الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي (2-6هـ/8-12م)". معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، 19 أفريل، 2015.

108- الحسيني إبراهيم صالح الشيخ، "الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية".مؤتمر الإسلام، 24-28 نوفمبر، 1989.

109- الزواوي رشيد،"التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي". مجلة الحضارة الإسلامية، لبنان، ع: 1، 1993.

شعباني نور الدين:

110- "التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة". دورية كان التاريخية، ع: 18، ديسمبر 2012.

111- "جهود المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا". موقع قصة الإسلام لايت، تاريخ الدخول: 2010/04/21.

112- شوقي عطا الله الجمل، "الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها ودور المغرب فيها". مجلة المناهل المغربية، المغرب، ع: 7، 1976.

113- عبد الله الفكي البشير، "قراءة في صورة شعوب القرن الإفريقي في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة". صحيفة التغيير الإلكترونية.

https://www.altaghyeer.info

114- علي يعقوب، "العائلات العلمية في السودان الغربي دراسة وصفية: عائلة أقيت نموذجا". مجلة قراءات إفريقية، ع: 44، السنة 16، أفريل 2013.

115- عمر الجيدي، "نظرات في تاريخ المذهب المالكي". مجلة الثقافة الإسلامية، ع: 1، 2005، الجزائر.

116- قادة بن علي، "التعريف بالمذهب المالكي". مجلة الثقافة الإسلامية، ع: 1، 2005، الجزائر.

117- محمد أمين المؤدب، "جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا". ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1999.

118- ميقا أبو بكر إسماعيل، "الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في بلاد السودان الغربي". مجلة الإمام محمد ابن مسعود، السعودية، دار المنظومة الإسلامية، ع: 11، د.ت.ن.

المراجع الأجنبية:

119- CORNEVIN Robert, **Histoire des Peuples de L'Afrique Noir**. Paris, E^{d} Berger-Levrauts, 1962.

120- CUOQ Josèphe, **les musulmans en Afrique**. Paris, E^{d} Larousse, 1978.

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ–هـ
مدخل	
1– جغرافية بلاد السودان الغربي	02
الموقع الجغرافي	03
التضاريس	05
المناخ	07
اقتصاد المنطقة	07
السكان	08
شعوب السودان الغربي	09
2– الممالك التي قامت في السودان الغربي	17
مملكة غانة (...–469هـ/300–1076م)	17
مملكة مالي (1230–1430م)	21
مملكة سنغاي (777–1000هـ/1375–1591م)	22
3– وسائل انتشار الإسلام في المنطقة	24
4– دخول المذاهب الفقهية لبلاد السودان الغربي	27
تسرب المذهب الشيعي إلى بلاد السودان وعوامل عدم انتشاره	27
بالمذهب الإباضي في السودان الغربي	28
الفصل الأول: المذهب المالكي ببلاد السودان الغربي	
التعريف بالمذهب المالكي و انتشاره ببلاد المغرب	33
التعريف بالإمام مالك	33
انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب	35
عوامل انتشار المذهب المالكي ببلاد السودان.	37

المذهب المالكي في مملكتي غانة و مالي	43- 45
المذهب المالكي في ممالك سنغاي و التكرور و كانم	47- 48
الفصل الثاني: فقهاء المالكية السودانيون	
فقهاء المالكية السودانيين وأدوارهم	53
الفقهاء السودانيون	53
دورهم في الحياة العلمية والثقافية	57
أدوارهم السياسية	60
دورهم في الحياة الاجتماعية	63
الإنتاج العلمي والفكري لفقهاء المالكية	66
مجالات التأليف للعلماء السودانيين	66
نماذج من مؤلفات الفقهاء السودانيين	71
المكتبات في السودان الغربي	73
الصلات العلمية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز	75
الصلات العلمية بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب	75
الصلات الثقافية مع مصر	76
الصلات العلمية مع بلاد الحجاز	77
خاتمة	82
الملاحق	85
قائمة المصادر و المراجع	91